الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل ط1: 1735079830

رقم التسجيل ط2: 1735079782

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان

هندسة الشخصيات وأبعادها رواية نجيب الكيلاني ـليالي تركستانـ أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- حدة شلالي

- إيمان بن عزي

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. ناصر بركة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
د.رحمون بوزيد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. لخضر هني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النمل الآية 19]

الحمد لله الذي بفضله تم إنجاز هذا البحث المتواضع

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظيم عقد الشكر، لمن كانت نعم العون لنا ونعم الموجه والمرشد فبفضل نصائحه وحرصه تم إنجاز هذا البحث الأستاذ المشرف الدكتور "بونزيد رحمون"

ولا ننسى في هذا المقام أن نشكر كل أساتذتنا قسم اللغة والأدب العربي جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

وإلى كل العاملين في مكتبة البيان

كما نشكر كل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن في أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي

وكل العائلة الكريمة التي ساندتني وأخوات وغلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية والغاليين:

-إلى روح أبي الزكية الطاهرة "شلالي مبارك"

-إلى روح أمي العزيزة الغالية "وقاف نعيمة"

وأهدي تحياتي إلى أستاذي الكريم "بوزيد رحمون" الذي قدم لنا المساعدة في مشوارنا الدراسي

كما أتوجه بخالص الشكر إلى كافة أساتذتنا الكرام بقسم الأدب العربي تخصص أدب حديث ومعاصر بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة على ما قدموه لنا طيلة فترة تكويننا

الحمد لله على الجهد وتحقيق الهدف الذي كنت أسعى من أجل تحقيقه طوال حياتي

حدة

الإهداء

اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد هاتم الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين

أهدي ثمرة جهدي

إلى من قال فيهما الله عز وجل ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ «صدق الله العظيم»

إلى الطاهرة الساجدة العابدة لله التي صنعت مني امرأة قادرة على مواجهة الحياة وأن أكون شيئا في الحياة أمي حفظها الله "عيدة حماني"

وأهدي تخرجي إلى العابد الزاهد الذي سخر كل قواه لي كي أصل إلى ما أنا عليه الآن والدي حفظه الله "بشير بن عزي"

وأهدي بسمتي إلى أخواتي الذين مهدوا الطريق أمامي كي أحقق هدفي المنشود نزيهة ومريم وأسماء وإلى أخي الوحيد عبد الرزاق وأيضا زوج أختي سليم بن التومي، ولا ننسى البرعم الصغير بسمة البيت مصطفى الوسيم

وأهدي ثمرة مستقبلي إلى صديقي محمد بن يحي

إيمان

مقدمة

مقدمة:

يعد الأدب أحد الألوان التعبيرية والإنسانية حول أفكار الإنسان وعواطفه ومخاوفه والتّي يعبر عنها باستخدام الأساليب الكتابية المتنوعة، والتّي تعطي مجالات واسعة للتعبير، ويجب الإشارة إلى أنّ الأدب يتعلق باللغة تعلقا كبيرا، فاللغة أو الثقافة التّي يتم تدوينها، تحفظ على هيئة الأدب بأشكاله المختلفة، وقد أطلق على ما يكتب في الأعمال الشعرية والنثرية والتّي تحمل وتحتوي على الجماليات الخيالية والتصويرية، لغاية إيصال معانٍ من قبل كتابها، والجدير بالذكر أنّ الأدب يصنف إلى عدة تصنيفات بحسب اللغة أو الموضوع الأدبي، أو نوع الأدب، بحسب الفترة التاريخية الوارد فيها، وحسب قومية الشعوب أيضا.

والأدب في العصر الحديث أصبح مفهوم الأدب يدل على معنيين، الأول معنى شامل وعام يدرج جميع ما يكتب في اللغة من العلوم والآداب تحت مفهوم الأدب، والثاني معنى خاص ويقصد به أنّه لابد أن يكون الكلام ذا معنى ويتصف بالجمال والتأثير ليكون أدبا ويشمل العديد من أساليب الكتابة الشعرية والنثرية والمسرحيات والروايات والأمصال، ومن هذا المنطلق وضع سيد قطب للعمل الأدبي ثلاثة شروط هي التجربة الشعورية والتعبير والإيحاء وهو يفسر مفهوم الأدب على أنّه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية، لذلك يوضح أنّه لا يمكننا اعتبار الكثير من الكتب العلمية أو التاريخية أو أي كتب مدونة تدوينا جميلا على أنّها من الكتب الأدبية، حيث عرفت الحركة الأدبيّة تطورا وازدهارا كبيرين، نتج عنه ظهور أجناس أدبية، ولعلّ أهم هذه الأجناس الرواية التّي لقيت اهتماما وإقبالا خاصا من طرف الأدباء والقراء على حد السواء، فعمل النّقاد على ترقيتها وتطوريها وتحديد عناصرها الفنية.

تعد الرواية من مقومات التأثير في المجتمع المعاصر كونها أقدر الأجناس الأدبية تعبيرا عن الواقع في مختلف قضايا الوقت الراهن، محاولة في ذلك معالجة مشاكله والبحث عن حلول لها، ويتشكل بناؤها الفني من عناصر تتمثل في الحدث والمكان والزمان، حيث تحتل هذه الأخيرة مركزا مرموقا في الرواية، وتمتد منها وإليها جميع

العناصر الفنية في الرواية، فهي تساعد على فهم الأحداث وتصويرها، وكذلك مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزمن والمكان وهي عنصر من العناصر السردية التّي يبنى عليها نجاح العمل الروائي، بحيث أنّها أوّل ما يجول في فكر الكاتب عن شروعه في كتابة رواية أو قصة ما.

انطلاقا من هذه الدراسات التّي مثلت الشّخصية في الخطاب السردي ننظر أو نتعرف على هندسة الشّخصية وأبعادها في رواية "ليالي تركستان".

أثناء دراسة رواية "ليالي تركستان" لنجيب الكيلاني اتضح لنا أنّ عنصر بالشخصية كان من الوحدات الأولى في بناء الرواية وسير أحداثها، والركيزة المهمة التّي اعتمدتها الرواية لتضفي على الرواية أشكالا متنوعة من الفهم والتأويل، ولأن دراستنا تناولت النظري والتطبيقي فقد أعطاني هذا البحث تلك الفرصة المطلوبة لطرح إشكالية البحث الرئيسية والتّي وردت كالتالي:

- كيف كان توظيف نجيب الكيلاني للشخصيات في رواية "ليالي تركستان"؟

- وما هي الأبعاد الموضوعية والفنية للشخصيات في رواية "ليالي تركستان"؟

أما عن هدفنا من هذه الدراسة هو البحث عن هندسة الشّخصيات وأبعادها في رواية "ليالي تركستان"، وبالنسبة لخطة البحث وهي الأساس لأي بحث فقد حرصنا على وضع خطة مناسبة لدراستنا التّي تتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول تطرقنا فيه إلى مفهوم الشّخصية وطرق عرضها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى مع دمجنا لدراسة النظرية التطبيقية في نفس الوقت، والفصل الثاني كان عنوانه "الشّخصيات الرئيسية والشخصيات الثانوية" والمتمثلة في الأبعاد الثلاثة: البعد الجسمي والبعد الاجتماعي والبعد النفسي الذّي تحدثنا فيه عن الدراسات حول أبعاد الشّخصية الأساسية التّي تشبه خطوط الطول والعرض في الجغرافيا، والتّي تعتبر مفاهيم تنتظم حولها حقائق عديدة والتّي تساعد على فهم الواقع، وتساعد أيضا على الوصول إلى أحكام وتنبؤات علمية وعملية، بالإضافة إلى الفصل الثاني أيضا الذّي تناول مفهوم المكان

والزمان من خلال العلاقات المدروسة بين العلاقة بين الشخصية والراوي، الشّخصية والحدث، الشّخصية والزمان، الشّخصية والمكان، للوقوف على أهم العناصر المشكلة للشخصية وأبعادها.

وتحت إطار دراستنا العلمية في جملة من المراجع والمصادر التّي ارتكزنا عليها في بحصنا على سبيل المثال: ابن منظور في لسان العرب، أبو الحسن ابن فارس، جميلة قسمون، عبد المالك مرتاض.

وبحثنا لا يخلو من الصعوبات والمعوقات التّي جاء بها بحثنا في هذه الرواية التّي تعد من الروايات المشوقة والتّي تستدعي بذل جهد في قراءتها وتحليلها لطبيعة العناصر المختلفة والمتشابهة معا، ولا يمكننا أن ندعي أيضا أنّ هذه الدراسة جديدة في شكلها النظري لأنّ هناك بعض الدراسات التّي تناولت الرواية بشكل عام في بناء عناصرها المختلفة والمتمثلة في معاناة المسلمين في دولة تركستان التّي تقع بين مخالب الدب الروسي وأنياب الوحش الصيني الذين يريدون التحرش بإسلامها ودينها كما يرغبون، وتغيير معالم الإسلام وهدم قيمه، أما بالنسبة للحكم كان يتولاه الوحش الصيني المتعجرف والذّي قام بفرض على المسلمين الزواج بالصينيين، وهذا هو السبب الأول والرئيسي الذّي دعا إلى انتفاضة المسلمين حينها دخلوا حربا طويلة متعبة أدت بهم إلى السقوط واحدا تلو الآخر ولا يبالون بالموت نصرة لدينهم وعقيدتهم، وهكذا مضت الرواية في حرب وحب أسفلت ذكراها.

وفي الأخير نشكر كل من قدم لنا يد العون على إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ المشرف: الدكتور بوزيد رحمون الذّي أغنانا بالنصائح والتوجيهات حتى أتممنا هذا العمل، نرجو أن يكون هذا الهمل فيه فائدة لمن يأتي فيه بعدي.

الفصل الأول

الشخصية في الرواية

1- مفهوم الشخصية

2- أنواع الشخصيات الروائية

3- طبيعة أسماء الشخصيات

4- تصنيف الشخصية الروائية

5- طرق تقديم الشخصية الروائية

1- مفهوم الشخصية:

للشخصية الروائية مفاهيم عديدة لتعدد وجهات نظر الأدباء والنقاد، أنها مكونا رئيسيا في عالم الإنتاج الروائي، وهي عنصرا محوريا في تطور الحكي فهي تحرك الأحداث وتتفاعل داخل الرواية، فحركة الشخوص داخل بؤرة السرد تؤثر بشكل أو بآخر في وقوع تلك الأحداث في الرواية.

لقد أصبحت دراسة الشخصية تمثل الأهمية الكبرى لدى النقاد والدارسين والباحثين في الدراسات السردية، لما تلعبه من دور رئيسي في إنتاج الأحداث، مما أدى إلى عدم الاتفاق على تعريف واحد لها سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية.

أ- الشخصية في اللغة:

رغم اختلاف التعريفات الاصطلاحية للشخصية إلا أن تعريفاتها اللغوية تصب في وعاء واحد يتمثل في أن: "كلمة شخصية (Personality) مشتقة من لفظ لاتيني (persona) ومعناه القناع أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير، ومن ثم فالحكم على الشخصية أساسه صفات الفرد الخارجية كما تبدو للغير[(1)].

ولزيادة فهم معنى الشخصية لابد من البحث عن أصل الكلمة في أمهات المعاجم، فنجدها عند "ابن منظور" في لسان العرب: "الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص؛[(2)] على ذلك قول بن أبي ربيعة:

فكان مجني دن من كنت أتقي ثلاث شخوص كعبان ومعصر

فهنا الشخص سواء الإنسان أو غيره، من بعيد نقول ثلاثة أشخص، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور.[(3)]

[(1)] محمود محمد الزيتي، سيكولوجية الشخصية بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1974، ص22.

[(2)] ابن منظور، لسان العرب مادة (ش، خ، ص)، دار صادر، بيروت، دط، المجلد السابع، ص45.

[(3)] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، العدد 240، 1998، ص75.

أيضا: من وراء اصطناع تركيب (ش، خ، ص)، التعبير عن قيمة حية عاقلة وتعني ناطقة، فكأن المعنى إظهار شيء وإخراجه وتمثيله وعكس قيمته.

فالمراد بالشخصية إثبات الذات؛ وهي مجموع صفات وأفعال خاصة بكل فرد إنساني يتميز بها.

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في الشيء من ذلك الشخص وسواء الإنسان إذا سما من بعيد، ثم يحمل على ذلك فيقال شخص من بلد إلى بلد وذلك قياسه، ومنه أيضا شخوص البصر، يقال شخص شخيص وامرأة شخيصة أي جميلة، والمراد بالشخصية هنا هو الظهور والارتفاع والسمو.[(1)]

كما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾.[(2)]

فالآية الكريمة هنا واردة بمعنى الارتفاع والسمو.

ومعنى الشّخصية الخصائص الجسمية والعقلية والعاطفية التي تميز إنسانا معينا من سواه[(3)]، فهي تلك الخصائص التي يحملها كل إنسان في خارجه أو داخله.

ومن خلال هذه التعريفات أن الشخصية مرت بمراحل عدة الوجه الذّي تتميز به كل شخصية على غيرها.

ب- الشخصية اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية فلها مفاهيم مختلفة باختلاف وجهات نظر الدارسين والباحثين، فمنهم من يراها "القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وهي عموده

---

(1) أبو الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مادة (شخص)، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط2، 1979، ص254.

(2) سورة الأنبياء، الآية 97.

(3) جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، مارس 1992، ص467.

الفقري الذي يرتكز عليه، فهي هنا أساس العمل الحكائي وأحد مكوناته الرئيسية، وبهذا نجد أن الأفراد يختلفون من فرد لأخر فلكل منهم صفاته التي تميزه، وتجعله يتعايش في وسطه.

فالشخصية اذن هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة، وهي التي تصف معظم المناظر التي تستهويها، وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تعمر المكان، وهي التي تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديد بكل أطرافه الماضي، والحاضر، والمستقبل [1]وبهذا تكون الشخصية عنصرا فعالا في العمل الروائي تسير معظم أطرافه الأخرى.

ولقد أعطى عبد المالك مرتاض للشخصية مكانه هامة عندما قال: «إن الشخصية هي هذا العالم الذي تتمحور حوله كل الوظائف السردية، وكل الهواجس والعواطف والميول»[2]، فالشخصية هنا هي مرآة وتجسيد للواقع، وللأحداث التي تركز عليها الرواية، وهي التي تعبر عن كل الحالات التي يمر بها الإنسان، عبر مسيرته النفسية.[3]

وهناك من يرى أن «الشخصية الروائية هي أحد المكونات الحكائية التي تسهم في تشكيل بنية النص الروائي، فهي تخييلية، استمدت وجودها من مكان وزمان معينين، وانصهرت في بنية الكاتب الفكرية، الممزوجة بموهبته، فوق الفضاء الورقي الأبيض، لتسهم في تكوين بنية النص الروائي (الدال)، وتنجز وظيفتها المستندة إليها تأليفيا، وتعكس بعلاقتها مع البنى الحكائية الأخرى، ظروفا اجتماعية واقتصادية وسياسية، مسهمة بذلك في تكوين المدلول الحكائي».[4]

---

[1] جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الآداب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2000، العدد 13، ص195.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص91.

[3] عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1990، ص67.

[4] أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر، الأردن، عمان، ط1، 2005، ص35-36.

ويختلف مفهوم الشخصية الروائية باختلاف الاتجاه الروائي الذي يتناول الحديث عنها، فهي لدى الواقعيين التقليدين -مثلا- شخصية حقيقية من لحم ودم لأنّها شخصية تنطلق من إيمانهم العميق بضرورة محاكاة الواقع الإنساني المحيط بكل ما فيه من محاكاة تقوم على المطابقة التامة، بين ثنائية: السرد/الحكاية.

غير الرواية الحديثة تختلف كل الاختلاف التّي يرى نقادها أنّ الشخصية الروائية ما هي سوى كائن من الورق- على حد تعبير رولان بارت- ذلك لأنها شخصية تمتزج في وصفها بالخيال الفني للروائي الذي يسمح له إن يضيف ويحذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها بشكل يستحيل معه أن نعتبر تلك الشخصية الورقية مرآة أو صورة حقيقية لشخصية معينة لأنها شخصية من اختراع الروائي فحسب، إذن الشخصية الروائي ليست وجودا واقعيا وإنما هي مفهوم تخيلي تدل عليه التغيرات المستخدمة في الرواية.

هكذا تتجسد الشخصية الروائية لتتخذ شكلا دالا من خلال اللغة وحسب تودوروف هي ليست أكثر من قضية لسانية.(1)

أما فيليب هامون فيذهب إلى حد الإعلان عن أن مفهوم الشخصية ليس مفهوما أدبيا محضا، وإنما هو مرتبط أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يحتك الناقد إلى المقاييس الثقافية والجمالية.

أما تيزفيطان تودوروف فقد نظر إلى الشخصية من وجهة نظره اللسانية هو يرى بأن مشكلة الشخصية هي قبل كل شيء مشكلة لسانية والشخصية لا وجود لها خارج الكلمات لأنها سوى كائنات من ورق.

فهو يرى أن الشخصيات تولد داخل الكلمات وهي عبارة عن كائنات ورقية، ولا دلالة لها إلا داخل النص لأنها شكل فارغ تأتي المحمولات المختلفة لملأه واعطائه مدلوله عن طريق إسناد الأوصاف والحديث عن الانشغالات الدالة للشخصية أو دورها

---

(1) حسن بحراوي، بنية النّص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص213.

الاجتماعي، فهي بذلك موضوع القضية السردية، بما أنها كذلك فهي تنزل إلى وظيفة تركيبية محضة بدون محتوى دلالي، فلا يمكن تخيل أي قصة بدون شخصيات تحرك أحداثها.[1]

ومن هذه التعريفات للشخصية نستنتج أنها من أهم مكونات العمل الروائي، لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال والتصرفات التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي، لأنها محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة يسعى إليها.[2]

ويرتبط التعريف اللغوي مع التعريف الاصطلاحي في كون أن الشخصية تمثل ذلك الكائن المتخيل الذي يصطنعه الكاتب للتعبير عن أحداث ووقائع يريد الكاتب إخراجها للمتلقي.[3]

وبما أن الشخصية الروائية تختلف عن الشخص الذي هو موجود في الواقع فوجب علينا التمييز بين هاذين المصطلحين فلفظة شخص على الإنسان الموجود في الواقع والذي يوجد عادة خارج تدل لفظة النصوص لعدم ارتباطه بالعالم الفني[4]، وهو الكائن أو الجنس البشري الذي ننتمي إليه إي الإنسان الحقيقي، وهو بذلك يختلف عن الشخصية الروائية التي نجدها في العادة في عالم الخيال الفني لأنها عبارة عن "كائنات ورقية عجيبة يصطنعها الروائي[5]، فهي لا وجود لها في الواقع فهي مرسومة في عالم الخيال لتجسد لنا أحداث القصة لأننا لا نستطيع أن نتخيل نص روائي بدون شخصيات أو أحداث.[6]

---

(1) تيزفيطان تودوروف، ينظر مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص71.

(2) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص214-213.

(3) تيزفيطان تودوروف، المرجع السابق، ص73.

(4) إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص194.

(5) جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، ص196.

(6) عبد الحميد بوسماحة، مكونات البنية الفنية ج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، 2008، (دط)، ص57.

2- أنواع الشخصيات الروائية:

تعرف الشخصية بأنها السلوكيات والخصائص والسمات والعادات التي يتصف بها الفرد، أي البناء الخاص بالفرد، وتختلف شخصيات الأفراد من شخص لآخر، فكل شخص له بصمة ذات صفات محددة له، وتختلف معايير التمييز بين الشخصيات الروائية، وذلك حسب اختلاف العمل الروائي الذي يقدمه الروائي، حيث تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود.[1]

كما يعتقد أيضا بأنه لا يمكن أن تكون الشخصية المركزية في العمل الروائي إلا بفضل الشخصيات الثانوية التي ما كان لها لتكون هي أيضا، لولا الشخصيات العديمة الاعتبار.[2]

ومن هذا القول يتضح لنا أن الشخصية إما أن تكون مركزية (رئيسية)، أو ثانوية، أو عديمة الاعتبار وسنتعرف على هذه الأنواع بشيء من التفصيل.

أ- الشخصية المسطحة:

ويطلق عليه البعض الثابتة، أو الجامدة أو الجاهزة أو النمطية، وهي تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة[3]، فهي لا تطور ولا تغير نتيجة الأحداث وانما تبقى ذات سلوك أو فكر واحد أو ذات مشاعر وتصرفات واحدة، فهذا النوع أيسر تصويرا وأضعف فنا، لأن تفاعلها مع الأحداث قائم على أساس بسيط، لا يكشف كثيرا على الأعماق النفسية لها.[4]

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص73.

[2] المرجع نفسه، ص89.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي فزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط4، 2008، ص135.

ب- الشخصية المدورة:

ويسميها بعضهم النامية أو المتطورة، وهي التي تستطيع أن تكون واسطة، أو محور ويسميها بعضهم اهتمام، لجملة من الشخصيات الأخرى عبر العمل الروائي(1)، فهي تؤثر وتتأثر بالشخصيات الأخرى.

كما أنها الشخصيات التي تأخذ في النمو والتطور والتغير إيجابا وسلبا حسب الأحداث ومعها، ولا تتوقف هذه العملية إلا في نهاية القصة.(2)

كما تتقسم الشخصيات من حيث ارتباطها بالأحداث إلى شخصية رئيسية وخرى ثانوية:

- الشخصية الرئيسية

تلعب الشخصية الرئيسية دورا مهما في تطور الأحداث، وهي التي تدور حولها أو بها أحداث الرواية، كما أنها تتحكم في الشخصيات الأخرى وتظهر أكثر منهم، لأنها الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس(3)، فهو يمنحها أكثر حرية ويوليها عناية فائقة؛ لأنها هي المحرك للعمل الروائي، فلا تطغى أي شخصية عليها، وأغلب الكتاب يصورون سيرتهم الذاتية من خلال شخصياتهم الرئيسية.

ويمكن التعرف على الشخصية الرئيسية من خلال الوظائف المسندة إليها حيث تسند للبطل وظائف وأدوار لا تسند إلى الشخصيات الأخرى، وغالبا ما تكون هذه الأدوار مفضلة داخل الثقافة والمجتمع، فالدور الذي تقوم به الشخصية الرئيسية يجعلها تحظى بمكانة مرموقة عند السارد، فالبطل بمثابة الركيزة لعدد من الأوصاف أو التأهيلات التي

---

(1) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص89.

(2) عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان الأردن، ط4، 2008، ص135.

(3) شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2009، ص45.

ينعدم وجودها أو على الأقل يكون توفرها عند غيره من الشخصيات الأخرى بدرجة أقل[1]، فهي "تستأثر باهتمام السارد، حين يخصها دون غيرها من الشخصيات الأخرى بقدر من التميز، حيث يمنحها حضورا طاغيا، وتحظى بمكانة منفوقة.

هذه المكانة تميزها عن غيرها وتجعلها في الصدارة من حيث عناية الكاتب بها، فهي الأساس في فهم مضمون العمل الروائي، وحياة الشخصيات تكمن في قدرة الكاتب على ربطها بالحدث وتفاعلها معه، وجعلها معبرة عن الموقف دون تصنع.

- الشخصية الثانوية

تقوم الشخصيات الثانوية مقارنة بالشخصيات الرئيسية بدور محدود وغالبا ما تكون وظيفتها أقل قيمة من الشخصية المركزية، كما أنها تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية فهي «التي تقوم بدور معين ثم تختفي ويكون ذكرها في الرواية نادرا أي تكتفي بوظيفة مرحلية».[2]

كما أنها قد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد بين الحين والآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له، وغالبا تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي وبهذا تكون أقل تعقيدا من الشخصية الرئيسية وترسم بشكل سطحي، وبالتالي لا تحظى بالاهتمام الكبير ولكنها تبقى عنصر مهم وحيوي في البناء الروائي.

ويجب علينا التمييز بين الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية وهذا ما ذهب إليه عبد المالك مرتاض حيث قال: "الحق أننا لا نضطر في العادة إلى الاحتكام إلى الإحصاء من أجل معرفة الشخصية المركزية من غيرها، وانما الإحصاء يؤكد ملاحظتنا كما يظهرنا بدقة على ترتيب الشخصيات داخل عمل سردي ما، وهذا إجراء منهجي إلى جدته

---

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص53.

[2] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1995، ص143.

في عالم التحليل الروائي مثمر حتما، واذا كنا لا نفتقر في مألوف العادة، إلى الإحصاء للحكم بمركزية الشخصية من أول قراءة للنص السردي، فإن ذلك يعني أن الملاحظة هي أيضا إجراء منهجي، ولكنها قاصرة ولا تملك البرهان الصارم لإثبات سعيها".[(1)]

وبهذا لا يكون الإحصاء هو وحده المعيار لمعرفة الشخصية الرئيسية من غيرها، فالملاحظة مهمة أيضا لمعرفة ذلك وكذلك الفهم الجيد للنص.

وللتمييز بين الشخصية الرئيسية والثانوية حدد لنا محمد بوعزة مجموعة من الخصائص أدرجها في الجدول التالي:

الشّخصيات الرئيسية	الشّخصيات الثانوية
- معقد	- مسطحة
- متغير	- ثابتة
- لها قدر على الادهاش والإقناع	- ليس لها جاذبية
- تقوم بأدوار حساسة في مجرى الحكي	- تقوم بدور تابع عرضي لا يغير مجرى الحكي
- تستأثر بالاهتمام	- لا أهمية لها
- يتوقف عليها فهم العمل الروائي	- لا يؤثر غيابها في فهم العمل الروائي

3- طبيعة أسماء الشخصيات:

الاسم هو الهوية الأولى التي يلج منها القارئ لعالم الشخصية، لأن كل ما يوجد في الشخصية دال سواء اللباس أو القامة أو حتى لون البشرة، وهو أيضا يعتبر من الوسائل الفنية التي يستطيع الكاتب خلق شخصية حية ومقنعة فنيا، وذلك لأن الاسم الممنوح للشخصية يؤدي الوظيفة نفسها التي يؤديها في الحياة اليومية، وبذلك يتم التوازي بين نمط التفكير الواقعي كما هو في الحياة، وبين الإبداع الروائي في خلق بنية شكلية متميزة، فالتوازي هو أحد وسائل الإيهام بالواقع، وهو الحافز على انتقال الاسم من خارج النص نصع أسماء (الواقع) إلى داخل النص (الإبداع)[(2)]، من هذا التعريف نفهم أن الكاتب يضع

---

(1) ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص58.

(2) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات أبراهيم نصر الله، ص40.

أسماء بواقعية الرواية، وذلك عندما يضع لنا أسماء حقيقية موجودة في الواقع وليس بالضرورة أن تكون هذه الشخصية الواقعية هي المقصودة من الحديث، لأن الأسماء في الرواية لها غاية ودلالة وضعت من أجلها تؤديها داخل النص الروائي لتصل إلى القارئ بمعناها التام.

وهذه الغاية التي يضبط الروائي من خلالها أسماء شخصياته لا تنفي "اعتباطية العلامة، ذلك أن الاسم هو علامة لغوية، ليس هناك ما يجبر المؤلف على وضع أسماء شخصية لأبطاله، فقد يطلق عليها أسماء مهنية مثل: الأستاذ، والمعلم، والفلاح...، أو يعينهم بالقرابة مثل: الأب، والأم، والعم....، وهذا يعني أن هناك علاقة بين الاسم والدافع الذي كان وراء اختياره والذي يميزها عن غيرها من الشخصيات[1].

ومن جهة أخرى تبين لنا أن الذي يميز اسم الشخصية هو ورودها بصيغة الإفراد، ومضمن ذلك أن أسماء الشخصيات تأتي في الغالب الأعم، مفردة، عكس واقع الأمر في الحياة الاعتيادية حيث على الشخص أن يحمل اسمين على الأقل لكي يتجنب الاختلاط أو التطابق مع أشخاص آخرين.

4- تصنيف الشخصية الروائية:

لقد تعددت تصنيفات النقاد للشخصية وهذا راجع لثقافة كل ناقد ولاختلاف التصورات حول مفهوم الشخصية، كما اختلف بحسب انتمائها إلى الأنواع الأدبية المتنوعة لإن للشخصية عدة وجوه، وذلك بحسب تعدد القراء، وتنوع التحليلات التي تطرقت إلى الشخصية الروائية، وكذلك تنوعت مفاهيمها ونظريات النقاد حول فعاليتها، فالكثير من النقاد والدارسين لجئوا إلى تصنيف الشخصيات الروائية نذكر من هذه التصنيفات:

[1] محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005، ص40.

أ- تصنيف فلاديمير بروب:

اعتمد بروب في تحديده للشخصية على الوظائف التي تقوم بها هذه الشخصيات وكان ذلك في كتابه (مورفولوجيا الحكاية) الذي ينطلق أساسا من دراسة الحكاية من خلال بنائها الداخلي، وليس اعتمادا على التصنيف التاريخي أو الموضوعاتي اللذين اعتمد عليهما من سبقه في البحث.

حيث رأى أن الشخصية تعرف بالوظائف المسندة إليها لا الصفات التي تتميز بها، ولتحديد طريقته حلل أربعة أمثلة واستنتج منها أنها تحتوي على عناصر ثابتة وهي الأفعال أو الوظائف التي تقوم بها الشخصيات، وعناصر متغيرة وهي أسماءهم وأوصافهم عليه استخلص من ذلك: أن ما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، أما من فعل ذلك الشيء أو ذاك، أو كيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لا غير.[1]

فالشخصية عند بروب تحدد من خلال الوظيفة التي تقوم بها لا من خلال صفاتها وخصائصها التي تتميز بها، ومن خلال دراسة فلاديمير بروب للحكاية العجيبة وتحدده للوظائف التي تقوم بها الشخصيات حدد أيضا الشخصيات التي ستقوم بهذه الوظائف وقد حصرها في سبعة شخصيات وهي: الخصم (المعتدي)، المساعد، الأميرة، الطالب، البطل، وهذه الشخصيات حسب بروب تقوم بواحد وثلاثين وظيفة.

ثانيا: تصنيف غريماس:

عرف مفهوم الشخصية تطورا واضحا عند "غريماس" ويعود ذلك بفضل تحديده للعوامل حيث «العوامل عنده تقوم بمجموعة من الأدوار والأعمال في الرواية وهذه العوامل عنده هي: الذات، الموضوع، المرسل، المرسل إليه، المعاكس، المساعد،

---

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص263.

والعلاقات التي تقوم بين هذه العوامل التي تشكل النموذج العاملي»[1]، وقد يكون العامل إما: شخصية أو حيوانا أو جمادا أو فكرة.[2]

وسنتعرف على هذه العوامل بشيء من التفصيل: [3]

1- الذات الفاعلة: وهي ما يسمى في النقد التقليدي بالبطل، إذ أن كل خلاف يثيره قائد لعبة، وهو الشخصية التي تعطي للحركة في القصة الهزة الأولى، هذه الحركة تكون وليدة رغبة، أو احتياج أو خوف.

2- الموضوع: وهو يمثل الهدف المقصود أو الشيء المرغوب فيه أو مصدر الخوف والانزعاج.[4]

3- المرسل: هو الجهة التي تمارس تأثيرها على "سيرورة الحدث" أي على اتجاه الحركة السردية، فوضعية التنازع والخلاف يمكن أن تولد وتتطور، بفضل وساطة المرسل.

4- المرسل إليه: إنه الجهة المستفيدة من الحركة السردية، وهو المالك المحتمل للشيء المتنازع عليه، وليس بالضرورة هو "الفاعل" نفسه.

5- المعارض: ولكي توجد حركة للصراع، وحتى يتعقد الحدث أكثر يجب أن تبرز قوة معارضة: عقبة تمنع البطل من تحقيق ما يصبو إليه.

6- المساعد: كل العناصر السابقة الذكر ما عدا "المعارضة" قد تحتاج إلى دعم وشد الأزر، وعملية تقوية من طرف الآخرين، وهو دعم خارجي، وهؤلاء الآخرون هم الذين منصب المساعد، كما قد يكون المساعد ذاتيا، أي موجود ونابع من ذات الفاعل.

وحتى تكون الصورة كاملة للنموذج العاملي يجب الحصول على ثلاث علاقات، وهي:

---

[1] فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، د. بن حمود، دار النشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص201.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص219.

[3] محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، ص65.

[4] جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، ص204-205.

أ- علاقة الرغبة:

وتجمع هذه العلاقة بين من يرغب الذات"، وما هو مرغوب فيه "الموضوع"، وهذا المحور الرئيسي يوجد في أساس الملفوظات السردية البسيطة وهكذا يكون من بين ملفوظات الحالة مثلا ذات يسميها هنا "ذات الحالة"، وهذه الذات إما أن تكون في حالة اتصال أو في حالة انفصال عن الموضوع.

ب- علاقة التواصل:

إن فهم علاقة التواصل ضمن بنية الحكي ووظيفة العوامل يفرض مبدئيا أن كل رغبة من لدن "ذات الحالة" لبد أن يكون وراءها محرك أو دافع يسميه "غريماس" مرسلا كما أن تحقيق الرغبة لا يكون ذاتيا بطريقة مطلقة، ولكن يكون موجها أيضا إلى عامل اخر يسمى مرسلا إليه، وعلاقة التواصل بين المرسل، والمرسل إليه تمر بالضرورة عبر علاقة الرغبة أي عبر علاقة الذات بالموضوع.

ج- علاقة الصراع:

ينتج عن هذه العلاقة، إما منع حصول العلاقتين السابقتين (علاقة الرغبة وعلاقة التواصل) وإما العمل على تحقيقهما.

وضمن علاقة الصراع يتعارض عاملان، أحدهما يدعى المساعد والآخر المعارض، الأول يقف إلى جانب الذات، والثاني يعمل دائما على عرقلة جهودها من أجل الحصول على الموضوع.

ومن هذه العلاقات الثلاثة نتمكن من الحصول على النموذج العاملي الذي استخدمه "غريماس".

ومن خلال ذلك حدد غريماس مفهوما للشخصية يتلخص في مستويين هما:

- مستوى عاملي تتخذ فيه الشخصية مفهوما شموليا مجردا يهتم بالأدوار، ولا يهتم بالذوات المنجزة لها.

- ومستوى ممثلي (نسبة إلى الممثل) تتخذ فيه الشخصية صورة فرد يقوم بدور ما في الحكي، فهو شخص فاعل يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد، أو عدة أدوار عاملية.[1]

ثالثا: تصنيف فيليب هامون:

لقد أعطى هامون مفهوما مغايرا للشخصية حيث وضعها في ثلاث فئات ويرى أنها العنصر المهيمن على الإنتاج الروائي وهي: [2]

1- فئة الشخصيات المرجعية:

وهي نوع من الشخصيات التاريخية والاجتماعية والمجازية وتشتمل على "شخصيات تاريخية (نابليون الثالث في روغون - ماكار، ريشليو عند ألكسندر ديما)، أو أسطورية (فينوس، زيوس..) أو مجازية (الحب، الكراهية..) أو اجتماعية (العامل، الفارس، المغامر..) وكلها تحيل إلى معنى مليء وثابت، مجمد بواسطة ثقافة، في أدوار وبرامج واستخدامات مقولبة[3]، فهي شخصيات تتميز بالثبات.

ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا أنه لابد للقارئ أن تكون له ثقافة مرجعية حتى يتمكن من مشاركة ثقافة الكاتب التي قام بإحالتها في النص الروائي وفك شفرتها.

2- فئة الشخصيات الواصلة:

أما هذه الفئة فتكون علامات على حضور المؤلف أو القارئ أو ما ينوب عنهما في النص حيث تتمثل في "تلك الآثار المنفلتة من المؤلف: شخصيات ناطقة باسمه، جوقة التراجيديا القديمة، والمحدثون السقراطيون، شخصيات عابرة، رواة ومن شابههم، واتسون بجانب شارلوك هولمز، شخصيات رسام، كاتب، ساردون مهذارون، فنانون....الخ.

(1) ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص33-36.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص52.

(3) رولان بارت وآخرون، شعرية المسرود، تر: عدنان محمود محمد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط1، 2010، ص102.

ومن هن اكتبسيط للشخصية الواصلة نعود إلى تعريف صالح مفقودة لهذه الشخصية حيث يقول: "الشخصيات الواصلة تكون علامة على حضور المؤلف أو القارئ.[(1)]

3- فئة الشخصيات المتكررة:

تعد هذه الشخصيات تقوم بالنسج في الملفوظ وذات وظيفة تنظيمية لاحمة أساسا، أي أنها علامات مقوية لذاكرة القارئ مثل الشخصيات المبشرة بالخير، أو تلك التي الشخصيات في الحلم المنذر بوقوع حادث أو تذيع وتؤول الدلائل، وتظهر هذه النماذج من في مشهد الاعتراف والبوح.[(2)]

فهي شخصيات استرجاعية تحيلنا إلى لحظات قد تكون مفتاحا تساعدنا على فك شفرات النص وتغذية ذاكرتنا.

من خلال هاته التصنيفات نلاحظ أن فيليب هامون قدم مفهوم الشخصية انطلاقا من الدور النصي الذي تقوم به، باعتبارها عنصرا دلاليا قابلا للوصف والتحليل.

رابعا: تصنيفات النقاد المعاصرين للشخصية:

تصنيف هامون	تصنيف بروب	تصنيف سوريو	تصنيف غريماس
شخصيات مرجعية	البطل	البطل	العامل الذات
شخصيات واصلة	البطل المزيف	البطل المضاد	العامل المعاكس
شخصيات متكررة	الآمر	الموضوع	العامل الموضوع
	المساعد	المساعد	المساعد
	المانح	المرسل	المرسل
	المغتصب	المرسل إليه	المرسل إليه

---

(1) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2013، ص14.

(2) مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، طلا، 2009، ص389.

ومن خلال هذا الجدول يتبين لنا أن النقاد قد اعتمدوا على بعضهم البعض، فأخذ اللاحق عن السابق، ودارت تصنيفاته حول ستة عناصر تجمع أصناف الشخصيات كلها.[1]

5- طرق تقديم الشخصية الروائية

لقد تعددت أساليب تقديم الشخصية الروائية بحيث أن الروائيين قدموا تقنيات مختلفة لتقديم الشخصية إلى القارئ، فهناك من يقدم شخصياته بشكل مباشر وهناك من يلجأ إلى الطريقة غير المباشرة لتقديمها ولكن نجد "فيليب هامون" قد اقترح علينا مقياسين أساسيين لتقديم الشخصية وهما:

- **المقياس الكمي:** وينظر إلى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة حول الشخصية.

- **المقياس النوعي:** أي مصدر تلك المعلومات حول الشخصية، هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عن طريق التعليقات التي تسوقها الشخصيات الأخرى أو المؤلف؟

أو فيما إذا كان الأمر يتعلق بمعلومات ضمنية يمكن أن نستخلصها من سلوك الشخصية وأفعالها.[2]

ومن هذين المقياسين يتضح لنا أن تقديم الشخصية يكون بطريقتين أساسيتين وهما الطريقة المباشرة والطريقة غير المباشرة:

أ- الطريقة المباشرة:

وتكون من خلال تعريف الشخصية لنفسها بمعنى أن الشخصية تعرف نفسها بذاتها باستعمال ضمير المتكلم، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها بدون وسيط، من خلال جمل تلفظ

---

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي دراسة، ص17.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص224.

بها هي، أو من خلال الوصف الذي وبذلك يستنتج القارئ صفات الشخصية من خلال أقوالها ومواقفها المختلفة في القصة.[1]

وهذا يذل على أن الشخصية بدأت تتحرر من عالمها الباطني بحيث أن الشخصية في السرد الحديث لم تعد شخصية كتومة، ولم تعد تتستر، على ما في عالمها الباطني، من ذكريات اختزنتها في مراحل العمر.[2]

وبهذا نجد الروائي قد "نحى نفسه جانبا، تاركا للشخصية ذاتها أن تعبر عما لديها من مشاعر، وأحاسيس، وأفكار، وهواجس، وهي طريقة تذكرنا بالممثل حين يظهر على خشبة المسرح بعيدا عن أي تأثير من الآخرين، مطلقا لنفسه العنان ليقول ما يشاء.

ب- الطريقة غير المباشرة:

وتكون عن طريق تعريف السارد للشخصية، حيث "يخبرنا عن طبائعها وأوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية[3]، وهنا يكون السارد أو إحدى الشخصيات الأخرى وسيطا بين الشخصية والقارئ.

لذا علينا من هنا نستخلص صفات ومميزات الشخصية من خلال الأفعال هنا ومن والتصرفات التي تقوم بها، وتسعفنا في هذا الصدد، تلك العبارات أو الفقرات التي يقدم فيها المؤلف شخصيته وهي نقوم بعمل ما بحيث تختزل صورتها ومزاجها وطبائعها[4]، بحيث أن هذه الصفات والمميزات عبارة عن "سمات يتصف بها فرد معين من الأفراد الذين تدور حولهم الرواية، أو المسرحية، وهذه السمات هي التي تحدد لنا نفسية هذا الفرد، وطباعه، ومزاجه.

---

[1] نفسه، ص44.

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص44.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص224.

[4] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، ص178.

وعلى سبيل هذه الطريقتين يكون تقديم الشخصية في الفضاء الروائي من الأمور التي استدعت اهتمام الدراسات النقدية الحديثة، ذلك أن الشخصية تحتل مكانة هامة في بناء الرواية، مما فرض على الروائي أن يتخذ طريقة ما في تقديم شخصياته.

الفصل الثاني

الشخصيات في رواية ليالي تركستان

أولا- الأبعاد الموضوعية للشخصية في الرواية

ثانيا- الشخصيات الرئيسة

ثالثا- الشخصيات الثانوية

رابعا- الشخصيات الثانوية المساعدة

خامسا- الشخصيات النامية والكاملة وأبعادها

أولا- الأبعاد الموضوعية للشخصية في الرواية

لكل رواية شخصيات عديدة يمكن تقسيمها على حسب الأدوار التّي تدور في الرواية، لذلك تنقسم شخصيات رواية "ليالي تركستان" إلى الشّخصيات الرئيسية والثانوية والثانوية المساعدة وغيرها من الشّخصيات، ومن حلال هذه الدراسة سنتطرق إلى الأبعاد الموضوعية وهي البعد الجسمي (الفيزيولوجي) والبعد الاجتماعي (السوسيولوجي) والبعد النفسي (السيكولوجي) للشخصيات المذكورة أعلاه.

رواية "ليالي تركستان" تحكي عن الثورة الإسلامية، ومأساة تاريخية تعرض لها المسلمون في دولة تركستان الشرقية المسلمة أثناء فترة احتلالها من الصين، حتى إلى أن تقاسماتها دولة الصين وروسيا وكيف قضوا على الثورة الإسلامية فيها عام 1950، وتعديهم المباشر على مبادئ الإسلام وعلى أرواح المسلمين هناك، حيث أحداث هذه الرواية قصت على لسان شاب مجاهد من تركستان شارك في الثورة وشهد أحداثها وأبطالها، وبعد انتهاء الثورة هاجر إلى مكة المكرمة وهناك التقى بالمؤلف وحكى له تفاصيلها من تعذيب وتنكيل والاعتداء على المساجد وانتهاك حرمات المسلمين، كما لا ننسى صورة المرأة المسلمة ومدى تمكسها بعقيدتها رغم كل المساوئ التّي مرت بها، وهكذا كانت أحداث الرواية تدور في حرب وحب الوطن وحب رومانسي بين البطل مصطفى مراد حضرت ونجمة الليل وكلاهما كان خادمين في قصر الأمير المسلم، إذ سبب فعلتهما الحب الذّي قصتهما والحرب التّي فرقتهما ثم جمعتهما مرة ثانية تحت ظروف مستعصية.

1- البعد الجسمي (الفيزيولوجي):

هو مجموع الصفات والسمات الخارجية الجسمانية التي تتصف بها الشخصية، سواء كانت هذه الأوصاف بطريقة مباشرة من طرف الراوي أو إحدى الشخصيات أو من طرف الشخصية ذاتها، وهو الوصف الظاهري الذّي تتميز به كل شخصية من خلال ملامحها وشكلها الخارجي، وفي هذا البعد يقدم السارد صورة للشخصية بتحديد الجنس أي

الجنسين (ذكر-أنثى) وفي صفات الجسم المختلفة لذلك يدرس حالة الشخص من عدة نواحي التّي تساعد في تكوين هذا البعد والغرض من هذا البعد هو توضيح الملامح الخارجية للقارئ ومدى التصاقها بالشخصية، كما أنّ البعد الجسمي أي الفيزيولوجي له أهمية كبرى في ملامح الشّخصية من ناحية تقريبها للقارئ، حيث تقدم الشّخصية من وجهة نظر الشخوص الأخرى التّي من حولها، وهنا يهتم القاص في هذا البعد برسم شخصيته ولا يحتاج القارئ البحث عنها لأنّها واضحة جدا تستخدم للفصل بين الشّخصيات على حسب أدوارها المدروسة في الرواية. [1]

2- البعد الاجتماعي (السوسيولوجي):

وفي هذا الجانب نهتم بدراسة بالشخصية حسب موقعها الاجتماعي والثقافي وكل ما يؤثر فيها، كما ركزت المدرسة السيكولوجية على هذا البعد أكثر من البعد الجسمي والنفسي لأنّه مهم جدا في تحديد شخصية كل فرد من حيث الظروف المعيشية والقدرة في التعامل معها، كما يقول شريط أنّ البعد الاجتماعي يهتم بتصوير الشّخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها وميولها والوسط الذّي تتحرك فيه، لذا فالبعد الاجتماعي يتمحور في كل ما يحيط بالشخصية ويؤثر في أفعالها أو سلوكياتها لأنّه يتمثل في شبكة العلاقات الاجتماعية ومجموعة العادات والتقاليد والأعراف التّي تنبئ عن المصدر الرئيسي. [2]

3- البعد النفسي (السيكولوجي):

ويقصد بهذا البعد ما يدور في أعماق الشّخصية من مشاعر وانفعالات، أو ما يدور في عقلها الباطني وحركة اللاوعي من طابع الشّخصية وما يمزيها عن باقي الشّخصيات كأن تكون طيبة أو شريرة، وما يظهر عليها من عواطف وأحاسيس والمواقف الناتجة عن

---

[1] أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2007.

[2] حسين عبد الحميد رشوان، الشّخصية دراسة في علم الاجتماع النفسي، مركز الإسكندرية للكاتب، الإسكندرية، مصر د ط، 2006، ص63.

القضايا المحيطة بها، والجانب السيكولوجي هو الذّي يعكس الجانب الباطني وهو بمثابة الدفتر والسر لا يطلع عليه إلا مالكه، هو الحي الذّي يقوم به السارد"[1]، ويرى إريك فروم (Erich Fromm) أنّ الشّخصية هي مجموعة من السمات النفسية والجسمية الموروثة والمكتسبة التّي تميز الفرد وتجعل منه شخصا فريدا لا نظير له، ويؤكد فروم دور الأسرة في الخلق الاجتماعي مع احتفاظه بما أسماه الخلق الفردي، أي أنّ الأسرة تؤثر على نفسية الطفل بشكل كبير في نظامه وطرق تعامله مع الآخرين. [2]

ثانيا- الشخصيات الرئيسة:

1- شخصية مصطفى مراد حضرت:

أ- البعد الجسمي:

مصطفى ليس مجرد شخصية رئيسية ومحورية فحسب، بل هو أيضا يعتبر بطل الرواية كونه السارد في الوقت نفسه يروي لنا ما جرى من أحداث تدور حوله، كما أنّ مصطفى عرفنا على العديد من الشّخصيات الأخرى وعلاقتهم بأحداث الرواية، فهو شخص ذو خدمة عظيمة تجاه وطنه لأنّه سيدافع عليه حتى ولو كلفه الموت للوصول إلى الاستقلال والتغلب على المستعمر الصيني.

مصطفى شخص قوي يتمتع بالروح القومية إلى الدولة وخاض معركة ضد البلاد الشيوعية في قوله: "كانت شوارع "قومول" تضج بمآسي تقشعر لها الأبدان وتشيب لهولها الرؤوس، فالشرطة يجرون الفتيات جرا كي يرغمونهم على الزواج من الجنود والمهاجرين والآباء التركستانيون الرافضون تشوى السياط أبدانهم، ويضربون بكعوب البنادق، ويركلون بالأقدام في ازدراء ومهانة، وكثير من الأسر والبيوتات العريقة تهرب إلى خارج المدينة...".[3]

---

[1] شرط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص48.

[2] حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2005، ص53-54.

[3] الرواية، ص15.

مصطفى مراد هو حارس شخصي ملكي مخلص ووفي للأمير، حيث قام بمساعدته في الخروج من السجن باستشارة شخصية أخرى التّي تدعى خوجة نياز، كون هذه الشّخصية من علماء الدين والفكر والوطنية ومعروف بشجاعته وصدقه، مرسلا إلى الأمير المسجون رسالة قائلا فيها: "أنّ الحق في الدنيا لا يكاد يختلف عليه اثنان لكن انغماس النفوس في الهوى قد يخلق من الباطل حقا ومن الحق باطلا".[1]

وهنا تبين لنما أنّ شخصية مصطفى مراد شخصية عاطفية وحساسة والذّي أعطانا صورة الأمير في غطاء الظلم من قبل القائد الصيني وحدثنا عن الألم والمأساة التّي سادت في البلاد وخصوصا أثناء المعركة في قوله: "وأخذ مولاي الأمير في الليلة نفسها إلى السجن ليلتها بكت المدينة كما بكت بالأمس على شهداء المعركة وليلتها أدرك الناس لأن الغزو الصيني يحمل في طياته خطرا آخر غير خطر غزو الأرض...".[2]

وكان الهاجس الوحيد لمصطفى إخراج الأمير من السجن والدفاع على دينه ووطنه بمشاركته في المعركة الساخنة ضد الصينيين الذين لم يتركوا الأمير دون أن يصبغ الأرض في أنحاء "قومرل" بدماء العقاب الوحشي والموت، حيث كان مصطفى يفكر في الموت وأن لكل شيء نهاية في قوله: "فلما نخاف من لقاء الله، متيقنا أن مصير الشهداء هو الجنة بالنظر إلى أنّ أمته أصبحت أمة مهانة يؤرقها الذل ويمثل خطاها القيد الذميم ويمحق كرامتها وإنسانيتها، وأنهم قوم لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى".[3]

وصف مصطفى مراد حضرت بأنّه مثال للجندي العظيم وأصبحوا يقلدونه في وسامه وشجاعته وحكمته في المعارك دون الفشل والاستسلام للعدو وتسليم أمره لله سبحانه وتعالى في قوله: "الله عادل يا منصور، ومن العدل أيضا أن نكون مسلمين حقيقيين حتى ينصرنا الله...".[4]

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013، ص17-18.

[2] نفسه، ص12.

[3] نفسه، ص38.

[4] نفسه، ص55.

مصطفى مراد جنديا فارسا ينبض قلبه على حب وطنه ويوحد القلوب ويصهر الآمال في بوتقة واحدة ليشعر الناس برابطة قوية تربط بينهم وبينه، وهو ينبض من نبض قلوبهم وجزء من أرواحهم وآمالهم، هو الفارس العائد يشعر أنّه قد أدى بعض الواجب وهو يقتحم الحصون بالأمس، ويطلق مدفعه القديم ويطهر المواقع من دنس العينين في قوله: "أنا الفارس العائد يا لها من أغنية حلوة!! أشد ما كان يثلج صدري أن أرى الغزاة... ينهارون ويموت كل منطق لديهم... ويذكرون الله على الفور... أنا واثق أنّهم لم يكونوا يكذبون... لقد انجابت الغشاوة عن أعينهم فعادوا بفطرتهم- وقت الكرب إلى الله وهي الحقيقة الأولى والأزلية التّي لا زيف فيها.

وسرت... وسرت... وأنا أدق الأرض بحذاء جديد...". [1]

مصطفى مراد حضرت محارب بكل ما وهبه الله من قوة، شارك في معارك عنيفة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ولم تكن الحرب وقفا على الرصاص والطائرات والمصفحات والدبابات التّي تخوض في أجساد الشهداء، بل خاض حربا أخرى من نوع رخيص ذاق فيها جميع أنواع العذاب من فراق أحبته والرفقاء المؤمنين الذين قضوا نحبهم وراء القضبان، والشهداء الذين سقطوا حول الجنرال عثمان باتور.

يظهر مصطفى في هذه الرواية قويا بشخصيته على تخطي المصاعب والأزمات التّي مر بها وعانى منها، مخلفة له العديد من الآلام والحزن الداخلي دون إظهاره لأصدقائه وزعمائه، ليكون مصدر قوة كل من حوله، ولم يستسلم للعدو وبقي يحارب ويصارع من أجل استقلال وطنه والحفاظ على دينه الالام الذّي به سار جاهدا بعلى اعتناقه في كل مرة يحس أنّه غير قادر لتفادي واجتياز المشاكل والأزمات التّي مر بها، ناصحا بدينه كل من حوله وخاصة أصدقائه وقادته في المعارك والحروب محافظا على نفسيته وروحه الهادئة في اجتياز العتبات وجميع أصناف الشر من اختلاف الديانات والأفكار.

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص67.

ب- البعد الاجتماعي:

يمكن القول أنّ مصطفى مراد عاش في عالم مليء بالحروب والأعداء من قبل المستعمرين الذين انتهكوا كل ما يحب وأهانوا أرضه واغتصبوا أهاليه واعتدوا على حريته، ورغم كل هذا بقي متمسكا بشجاعته وعزيمته على محاربة المستعمر الصيني والروسي ايضا، والدفاع على وطنه وأرضه بصفة عامة مع المعايشة في وحدته على اشتياق حبيبته "نجمة الليل" التّي لم تفارق مخيلته ولا دقيقة في قوله: "نعم... لا أكذب عليك، الحب الحقيقي يا فتاتي لا يموت... ولا يعتريه خوف... إذا كان حبا ساميا فسيبقى سواء طوانا الموت أو كتبت لنا الحياة".[1]

كان مصطفى شارد البصر يغمهم الليالي التّي قضاها وهو يفكر في حبيبته "نجمة الليل" قائلا: "أنّها كانت أياما جميلة كان للحرمان والصدود معنى صوفي يرقص له قلبي آه لو تعلمين... قلبي الآن يخفق في فرح... أعرف أنّ ورائي قلبا كبيرا يمتلئ بالحب لي".

وليس الحب لنجمة فقط فقد كان لحب وطنه ودينه أكثر لأنّ الزمن الذّي عاشه زمن الوجع الاجتماعي للبلاد الغارقة في الحرب وإرهاب ونزيف حاد وتساؤلات شتى بمختلف العبارات لماذا وكيف ومتى لمحاولة معرفة خفايا وخطط المستعمر وخاصة القائد الصيني الظالم والضعيف في نفس الوقت.

عاش مصطفى مراد في قصر الأمير خادما وحارسا له، يرى كل شيء يدور حول الأمير وقصره وعائلته.

لم تمنع الظروف القاسية التّي كان يعشها مصطفى مراد حضرت بالتخلي على حبه الوحيد "نجمة الليل" الذّي صاغها في قصة ظريفة: "... قد كنت فتاة تخدم في القصر

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص46.

منذ عام... كانت تتمنع علي وترفض الزواج، وتطمع في رجل أعلى مركزا مني... أنا مجرد حارس في القصر... والقصر يدخله عليه القوم...". [1]

هي مجرد قصة ظريفة لكنها بالنسبة لمصطفى غصة في قلبه ودموع في جفونه، بقي متعايشا مع الأمر في وحدته على اشتياق حبيبته "نجمة الليل" التّي لم تفارق مخيلته ولا دقيقة في حديثه معها: "نعم... لا أكذب عليك، الحب الحقيقي يا فتاتي لا يموت... ولا يعترف به خوف... إذا كان حبا ساميا فسيبقى سواء طوانا الموت أو كتبت لنا الحياة".[2]

دائما كان مصطفى مراد شارد البصر يغمغم الليالي التّي قضاها وهو يفكر في معشوقته قائلا: "أنّها كانت أياما جميلة كان للحرمان والصدود معنى صوفي يرص في قلبي... آه لو تعلمين... قلبي الآن يخف في فرح... أعرف ورائي قلبا كبيرا يمتلئ بالحب لي...". [3]

وكان حبه صادقا وكافأته بالخيانة، ومع مرور الأيام سمع خبرا عليها أنّها تزوجت غيره، عاش في بين أحد أعدائه استولى على من كان يحبها، كاد أن يصبح آلة ويتخلى على روح الثورية والجهاد ومشكلته أنّه لا يستطيع مفارقة تفكيره بها لدرجة أصبح يرى في عينيها أشواقا غريبة حادة جعلته يخجل من نظراتها والهروب منها، لدرجة أنّه لم يعد يتحمل البيت قائلا: "هذا البيت تسكنه شياطين من نزوات وخطايا"[4]، إلى أن أقيمت حفلة واجتمعا في غرفة واحدة وحاولت التقرب إليه قائلا لها: "أنا رجل مسلم أعرف الله"[5]، إلى أن أتى الليل الموعود واجتمعا سويا بعد الفرار من زوجها بعد قتله من أجل حبها لمصطفى قائلة: "لقد قتلته لإني أريدك".[6]

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص12.

[2] نفسه، ص46.

[3] نفسه، ص121.

[4] نفسه، ص122.

[5] نفسه، ص130.

[6] نفسه، ص134.

كان إحساس مصطفى مراد بقدر غير قليل من الراحة وهو يقطع الجبال مع حبيبته نجمة الليل التّي أصبحت تمضي بجواره وخلفه على ظهر جواده متبادلين الأحاسيس والمشاعر المليئة بالحب واللهفة على اللقاء الذّي جمعهما بعد عناء طويل. [1]

حياة مصطفى حضرت الاجتماعية متنوعة من حروب خاضها وقادها وحب عاشه بعد فقدانه للأمل الذّي كان يشع منه في البداية، لكن هذا لم يمنعه من المكافحة والاستمرار إلى التوجه إلى أمل ضئيل ليجعل منه حلما حقيقيا بذكائه وحبه المتدفق على عزة كرامته واحترام دينه وعدم عصيانه لربه، بل سار متيقنا أنّ لكل مدخل مخرج وأن للمعارك فرسان وأن للفرسان قادة وأن للقادة بلاد وأن لكل بلاد استقلال والعدالة والحربة شيء يستحق العديد من التضحيات، إذ أنّه بقي- مصطفى- على حاله صامدا ومقاوما للموت الذّي يترصده من كل لجانب من جوانب الحقد من طرف الكافر والعدو الصيني إلى أن فارق زوجته وابنه بعد معركة أخرى التّي انطفئت فيها شمعته الأخيرة، منتظرا حتفه من الموت، متمنيا ملاقاة زوجته إلى آخر مرة، ولكن ليست هذه نهاية مصطفى مراد حضرت، بل ظل يناضل ويكافح من أجل الحياة والاستقلال حتى احتدمت المعركة واندمج فيها أيضا بل ما يملك من قوة وإحساس، إلى أن سقط الجنرال عثمان باتور في يد الأعداء وسيق إلى ساحة الإعدام، ومن هنا لا يزال مصطفى مراد حضرت يكافح ويصمد إلى أن يلقى ملجأ ومهرب من تلك الأرض حتى اندس بين الصفوف وارتدى ملابس المحارب للتخفي في قوله: "كنت مدنسا بين الصفوف لا يعرفني احد، فقد ارتديت ملابس محاربي "دون خان" إمعانا في التخفي... كنت أنظر إلى البطل الشهيد وأنا أضحك في هيستيريا، وعيناي مبللتان بالدموع وأصرخ كالمجنون "يحيا العدل يحيا العدل...". [2]

كانت أحاسيس مصطفى مراد حضرت الأخيرة أنّه اجتمع مرة أخرى بزوجته نجمة الليل وابنه الأشقر، لم يستطع التعبير عن فرحته بل خنقته الدموع في عينيه وزوجته

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص208.

[2] نفسه، ص206.

هي الأخرى كانت تنتفض من الانفعال قائلة: "لم أكن أتصور أن تنجو من الموت يا مصطفى، إنّ الشيب قد صبغ شعرك والتجاعيد ملأت وجهك... كأنما مر على فراقنا مائة عام...". [1]

مصطفى مراد حضرت شخصية قوية جدا، حارب من أجل وطنه صامتا ومتحملا كل المشاكل من كل الجانب ولم يرضى بالاستسلام والانسحاب حتى آخر أنفاسه.

ج- البعد النفسي:

تبدأ معارك مصطفى حرضت من أول يوم دخل فيه المستعمر الصيني الذّي كان يريد أن يدوس على مشاعر الناس ويحتقر شعائرهم ودينهم ولاختلاف العقيدة، رغم كل هذا لم يتخلى مصطفى مراد على قصره وعلى أميره بالرغم نم المعاناة التّي واجهها في طريقه من كل الجوانب والأنحاء، إلى أن سارت الأنباء في المدينة مسرى النار في الهشيم وتخطت حواجز القهر العنيف، وتهامست بها النسوة في المنازل وتلقفها الرجال في قلق وغيض بالغين. [2]

إنّ احتلال الأرض ليس امرا سهلا، بعد أن كان الهدوء يعم قومول والقهر والمياه تسري في مجاريها، وما زاد الطين بلة حب مصطفى لنجمة الليل والشوق لخا جعله يشعر بالضياع والاختناق، ومع كل هذا ظل مصطفى مراد صامدا متمسكا بدينه وحبه لوطنه دون سبق الأحداث أو إدخالها، ببعضها البعض مع محاولته الأولى في إخراج أميره من السجن، لأنّ جو الحزن يخيم على قصر الأمير[3]، وزوجته تروح وتجيء كالمجنونة تنتقل في جنبات القهر الفسيح على غير هدى... لا تأكل ولا تشرب وأولاده وبناته وأقاربه قابعون تلفهم الكآبة.[4]

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص207.

[2] نفسه، ص06.

[3] نفسه، ص11-12.

[4] نفسه، ص14-15.

مرت على مصطفى مراد أيام عصيبة كلها آلام وأحزان من شوارع قومول التّي تضج بمآسي تقشعر لها الأبدان وتشيب لهولها الرؤوس، كانت موجة الطغيان تمتد وتنزاح... وأصوات الاستغاثة تعلوا، والسياط تعلو وتهبط وتمزق الأجساد العارية، والنسوة يسقن إلى الجند الغزاة، والرجال يشعرون بالخجل والضعة والهوان. [1]

حاول مراد الصمود على كل ما يواجهه من حزن وألم على ما يراه في أرض وطنه وأهلي مجتمعه وحصرة أصدقائه ناصحا لصديقه "منصور درغا" الذّي يصرخ في احتجاج: "هل هذا يرضي الله"، فأجابه مصطفى بكل حكمة بأن "الله عادل والعدل أيضا أن نكون مسلمين حقيقيين حتى ينصرنا الله"[2]، كان لمصطفى توازن نفسي قوي استطاع به فهم الأزمة النفسية التّي يمر بها صديقه قائلا في نفسه "أنا لا أنظر إلى الأمر كما ينظر إليه "منصور درغا" فأنا أعرف منصور من قديم فهو مثالي حالم ينظم الشعر، ويحفظ أحاديث البخاري"[3]، بل كان مصطفى حازما على اللحاق بالمعركة ليطفئ نيران الحزن بداخله دون الاستسلام للعدو الظالم.

كان مصطفى تائها بنظراته في ليل صامت بشوارع قومول يفكر عما يدور من حوله قائلا: "وعلى السفوح يبدو الليل صافيا وتسمع أغاني الرجال، فيطرب قلبك يا منصور، وتنظر إلى النجوم... فلا ترى نجمة واحدة... بل ترى ملايين النجوم تبتسم ابتسامتها الخالدة... الجبل رائع يا منصور".[4]

وعلى الرغم من هاته المحاورات ظل تفكيره بحبيبته نجمة الليل التّي تركها ورائه وتطلع إلى القمر وكان بدا يغلقه السحاب المتكاثر، قارئا في وجه القمر بالابتسامة الخالدة

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص16.

[2] نفسه، ص55-56.

[3] نفسه، ص59.

[4] نفسه، ص60.

التّي ظلت تتم بالهدوء والوقار منذ ألوف السنين أو أكثر قائلا: "إنّ في ضوئك يا قمري المنير يا من تتحدى الظلمات أمضي وسط المراعي قاصدا قيادة الثوار...". [1]

خاف مصطفى مراد من ظلم الثوار، إذ ذكر منهم واحدا فقط لأنّهم كثيرون جدا كونه أدرك ظاهرة غريبة في شعب تركستان الذّي بدا له نائما مستسلما جريحا ينزف الحسرات واللوعة، ويعشش في قلبه اليأس لأنّه شعب عندما رأى جموحهم تزحف إذا به ينفض الكسل والوهن عن كاهله.

عاش مصطفى في بيت أعدائه محطما مكسور الخاطر على الغريب الذّي استولى على من كان يحبها، فهو يرى أنّ الحياة الهادئة المتوفرة فيها الطعام والملبس والهدوء والركون في عش جميل، يقتل في الإنسان روح الثورية والجهاد. [2]

مصطفى مراد شخصية حساسة ومتأثرة، يتذكر كل شيء مر به من قبل حتى الأحاديث التّي جمعته مع خوجة نياز والجنرال شريف خان وغيرهما الذين كانوا مؤمنين شجعانا وفي ساحة الموت لقوا الله دون خوف، معبرا أنّ مجيئه إلى قصر نجمة الليل كان مجرد نزوة من نزوات الشيطان ومضيعة للوقت[3]، مفكرا في العودة إلى الرجال في أعالي الجبال الذين كان شعارهم الذّي يهز تلك الجبال: الله أكبر الله أكبر، وكان بالجبال العديد من مراكز الثوار التّي كان يقضي فيها مصطفى مراد معظم وقته واصفا لهم تفاصيل المذابح والاضطهادات التّي يرتكبها الأعداء في حق المواطنين.

كان هدف مصطفى مراد في النهاية أن يكون قريبا من عثمان باتور... كونه من المجموعة الأصلية التّي ينتمي إليها ويعمل معها، متمنيا ملاقاة صديقه مصطفى درغا. [4]

كانت الحرب بالنسبة لمصطفى مراد الحياة والحرية، والحرب فريضة في سبيل الله، وعندما ينتصر يصبح سادة في بلاده ويبدأ بداية جميلة ورائعة بداية من زواجه من

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص61-62.

[2] نفسه، ص121.

[3] نفسه، ص125.

[4] نفسه، ص135.

معشوقته نجمة الليل الذّي شارك فيه أهل قريبه الذين دقت طبولهم الحلوة التّي تهز القلوب، إلى أن مرت عشرة أيام ممتعة من الزمن، بظل فيها مصطفى رومانسيا مع زوجته، متفائلا بالأيام القادمة، ليزرع في نفسية حبيبته روح الأمل والسعادة للأيام المقبلة قائلا لها: "نعم يا حبيبتي... عندما يحل السلام وترجع بلاد الإسلام للإسلام... ويفر الأعداء... عندئذ نستطيع أن ننعم بالحياة... ونكون سعداء حقا... إننا يجب أن نعيش لمعنى كبير أكبر من الحب الذّي بيني وبينك".[1]

دائما كان مصطفى متفائلا ومستبشرا بأنّه سوف يأتي اليوم الذّي ستكون فيه تركستان كلها أغنية حية خالدة[2]، وسر خلودها تلك الجنة التّي على الأرض، لأنّ مصطفى يرى أنّ الإنسان لا يشعر بشيء بعد موته والعذاب للأحياء... ويجب أن يتألم حتى تتولد طاقة كراهية خالدة لكل الطغاة[3]، واستمرت المعارك القاسية والأعداء يولون الأدبار، كانت صورة مصطفى مراد صورة الأبطال القوميين الذين أدوا أدوارا من أجل تحرير البلاد إبان محنتها والمخلفات التّي عمت في أرض الوطن، متأثرا بحالة صديقه على فقدان زوجته الغالية، متناولين أطراف الحديث حتى تذكر زوجته نجمة الليل وابنه وشوقه لهم[4]، لكن مع هذا ظل متماسكا وصامدا حتى النهاية السعيدة حين التقى بزوجته وابنه الأشقر بنبرات راعشة ومشوقة.

2- شخصية خوجة نياز حاجي:

أ- البعد الجسمي (الفيزيولوجي):

تعد شخصية نياز أساسية في الرواية، كونها شخصية ساهمت في العديد من المعارك.

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص137.

[2] نفسه، ص142-143.

[3] نفسه، ص170.

[4] نفسه، ص180.

خوجة نياز رجل شهير وهو من رجال الفكر والدين والوطنية، معروف بشاعته وصدق ولائه، وكان رجال قومول كلهم يذهبون إليه حائرين مستفسرين عن كل ما يحدث، كونه أيضا محارب شجاع بطولي وعارف، وهو قائد الحرب ضد الغزاة الشيوعيين الصينيين.

خوجة نياز حاجي من الأناس المتفائلين بدين الإسلام بشأن الاعتقاد وهو الذّي جعل أمير قومول يخرج من السجن بإبلاغه برسالة زادته قوة وأملا في الحوار التالي: "إنّ الحق في الدنيا لا يكاد يختلف عليه اثنان، لكن انغماس النفوس في الهوى قد يخلق من الباطل حقا ومن الحق باطلا"[1]، كانت كلمات تحمل معاني عديدة تخلق من الضعف قوة وانتصارا مبلغا الأمر إن لم تكن تمتلك المفاتيح التّي تفتح بها السجن، ولا السواعد التّي تهدمه ... فإنّ لك عقلا يستطيع أن يحملك على جناحيه إلى المخارج، وعند سماع الأمير لهاته العبارات لم تمض إلا بضع دقائق وكان رده: "حسنا... اذهب إلى خوجة نياز وقل له إنّ الأمير قادم غدا...". [2]

كان خوجة نياز حاجي من المعلمين والمحافظين يهتم بكل خبر يصله عن بلده داعيا الله سبحانه وتعالى "اللهم غفرانك... اللهم نصرك".[3]

كانت دائم أحاديث "خوجة نياز حاجي" عن تجاربه في الحياة، بأنّ الأمور الخطرة والأحداث الكبرى لا يمكن أن تحل بالتجزئة... وهي في الوقت نفسه لا تقبل الحل الوسيط والمنتصر لا يعطي المهزوم شيئا أصيلا أبدا، إنه يعطيه الفتات والنفايات. [4]

ويرى "خوجة نياز حاجي" أنّ شعب تركستان شعب مسكين محصور تحيطه النيران من كل الجوانب... والتحريض قادم لهم من بعيد كون خوجة نياز يعرف دعاة القبلة في العالم، ويقول أنّهم ينتهزون فرصة ضعفنا وهواننا ويحتشدون من حولنا ويثيرون

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص15.

[2] نفسه، ص17.

[3] نفسه، ص19-20.

[4] نفسه، ص20.

نعرات شعوبية وإقليمية، غنهم يريدون أي شيء على ألا نكون مسلمين، لذا فهم يجردون الجيوش والشرطة لإرغام فتياننا على الزواج منهم، ليست لديهم أزمة في النساء لكنهم يريدون القضاء على قيم مبادئ الدين الذّي هو وحده حفظ استقلالنا وحريتنا عبر السنين الطويلة. [1]

كان خوجة نياز دائما يحاول تغطية الكآبة والغيوم التّي من حوله وخاصة في اجتماع الأمير مع القائد الصيني الذّي يريد الزواج من الأميرة غصبا على الجميع في الحوار التالي: "أيها الأمير أيها السادة... يجب أن نوافق الصيني على فكرته، كل الحارين أثارهم الاشمئزاز والمعرضة لكلام خوجة نياز حاجي إلا الأمير الذّي يثق ثقة عمياء في خوجة قائلا: وأنا أوافق خوجة نياز... وسيكون العرس في قصري وسيتزوج القائد الصيني ابنتي الغالية... سوف نفدي بذلك شعب قومول، وننجيه من مذبحة لا تبقي ولا تذر...". [2]

كان خوجة نياز من القائدين في المعركة ودائما هو من ينشر الأخبار في الساحة بأعلى صوته وقوة نبرته وهيبته في الحوار التالي: "سمعتكم تتحدثون عن الأربعمائة مليون صيني كما لو كنتم حضرتم هذا الاجتماع بصفتكم وفدا عن الصين وليس جماعة من الفدائيين المسلمين، وإذا كنتم تقيسون الجيوش بعددها فوالله إنّ الإسلام ما كان لينتشر، وترفع راية الله في الأرض أو أن المسلمين الأوائل فكروا كما تفكرون، وكأني بكم لم تقرأوا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّه**﴾(البقرة، 249)". [3]

هنا أوضح لنا خوجة نياز حاجي أنّه ذو شخصية حكيمة وملتزمة على حدود وضوابط الإسلام، آخذا الإسلام والقرآن خاصة إماما له، يكفل خير الدنيا والآخرة، وهو

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص31-32.

[2] نفسه، ص43-44.

[3] نفسه، ص49.

يعاهد الله أنّه لن يضع سلاحه حتى ينتقم لدينه وبلاده، خصوصا أنّ خوجة يتمتع بذكاء عالي يكشف به كل أسرار العدو الصيني، وحتى روسيا التّي قدمت يد الساعدة لشعب تركستان قائلا لهم: "نحن نرحب بصداقتكم ولكن نعتذر عن قبول معاونتكم المشروطة، فقد قرر رجالي عدم السماح لجنودكم أو خبرائكم أو تجاركم النزول في بلادي... إذ ترى أن الأمر لا أملكه... لكنه شعب ثائر قد قرر خطته بنفسه...". [1]

كان خوجة نياز حقيقة واضحة أرادوا اتهامه بالخائن لبلاده لكن مع صدقه وقوة إيمانه استطاع البرهنة على إخلاصه لوطنه وفدى روحه دون أن يفكر بأي شيء ولم يخف من الموت قائلا: "وما قيمة جثتي؟! إنّ الروح هناك تحلق في أعالي الجبال لأنّها لا تموت"[2]، وهنا متيقنا بأنّ الروح تحكم بأمر الله سبحانه وتعالى (قال الأولون من الكافرين لا يهلكنا إلا الدهر).

استمر في أداء واجبه تجاه وطنه دون تردد حتى لقي حتفه من الموت تحت أيادي الأعداء لشدة التحقيق العنيف وظل صامدا من أجل طرد الطغاة والاعداء ليموت مجاهدا في سبيل الله قائلا له العدو: "إنّ إعدامك لا يكفي... يجب أن تمزق قطعة قطعة، ثم يرمى لحمك إلى القطط".

ب- البعد الاجتماعي:

أما من الناحية الاجتماعية يمكن القول أنّ خوجة نياز حاجي عاش في عالم القادة والأمراء مشاركا المعارك بشجاعته وقوته وصدقه، أوّل عمل قدمه للأمير مساعدته في زرع الأمل مرة ثانية بعبارات تمكن أمير قومول الخرج من السجن بكل سهولة، هكذا بدأت مساهمة نياز في الرواية وفي المعركة تحديدا كونه مثقفا دينيا، فهو لم يكن يريد أن يستسلم الأمير بسهولة لعدو خاصة أنّه مدرك أنّ القضية ليست قضية نساء فقط بل قضية دين الإسلام والقيم والمبادئ التّي بها تم المحافظة على استقلال وحرية الشعب التركستاني

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص80-81.

[2] نفسه، ص82-83.

عبر السنين الطويلة قائلا: "ولهذا فهم يجردون الجيوش والشرطة لإرغام فتيانها على الزواج منهم... ليست لديه أزمة نساء... لكنهم يريدون القاء على قيم ومبادئ هي وحدها التّي حفظت استقلالنا وحريتنا عبر السنين الطويلة...". [1]

إنّ خوجة نياز حاجي كان دائما مساندا الأمير ليس إرغاما أو خوفا بل حبا وطنيا واحتراما ملكيا، رغم كل الظروف التّي سوف يمر بها لم يتردد فقط بأي شيء أثناء اتخاذه لقرا يخص المعركة، ليس لوحده فقط بل أيضا كان معه رجال من نفس التفكير والدين للمشاورة والتناقش في أي فكرة واستنتاج المعلومات والأفكار، حتى أنّ حفنة الأوضاع وامتد النور إلى جميع الأنحاء قومول، وتناقلت المقاطعات المجاورة أنباء الانتقام المشروع الذّي حمل لواءه الأمير القائد الفعلي خوجة نياز حاجي اللذان استطاعا تفادي الأزمة الأولى من المعركة. [2]

لم يمنع أي ظرف خوجة نياز بالانسحاب في المعركة بل ظل قائدا حكيما وقدوة لغيره لقوة ذكائه وفطنته، بالتعرف على كل ما يدور من حوله متيقنا أن اسمه سيبقى خالدا في الشعب التركستاني حتى ولو مات، قائلا أنّ الروح من أمر ربي ناصحا العدو بأنّ لا ينشر نهائيا عن تعاليم خاطئة، عاد خوجة نياز كثيرا من تحت أيادي العدو الصيني خاصة في مراكز المخابرات الذّي كان معتقلا فيه مع التعذيب المستمر[3]، حتى أن تمزقت بشرته وليس هذا فقط، بل شوهوا صورته بأكاذيب ودعايات خاطئة "كيف تحاربون في صفوف خونة نياز حاجي... ألا تعلمون أنّه اختلس أموالكم وأخفى الملايين عنكم؟ ألا تعرفون أنّه يتاجر بكم ويستغلكم وأن لديه الضياع والنساء والذهب؟؟ انظروا إلى فضائحه"[4]، وأخذ العدو ينشر أمامهم بعض المطبوعات المزيفة والأرقام الكاذبة والصور

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص20.

[2] نفسه، ص38.

[3] نفسه، ص77-78.

[4] نفسه، ص79.

الفوتوغرافية الملفقة، وفي هذه الأثناء الأسلوب الوحيد الذّي سار فيه خوجة نياز أنّه مع العسر يسرا ولن يستسلم للعدو أبدا حتى أن يلقى حتفه إلى الله سبحانه وتعالى. [1]

ج- البعد النفسي:

كان خوجة نياز يواجه العديد زمن الصراعات والحروب من أوّل يوم حضر إلى قصر الأمير لمساعدته، فهو يعتبر نفسه من الرجال القادة ولم يتردد ولا ثانية للبقاء صامدا تجاه عمله، ضاحكا على ذكرياته الأليمة التّي منها صنع قوة وعزيمة قائلا: "لا تخونوا أيها الرجال... من قديم والكنيسة تسعى للقضاء عليكم، كانت تحرض روسيا على غزو ديارنا الإسلامية... لأنّ الكنيسة لم تكن تنسى أنّ محاربينا الأشداء ساعدوا تركيا وأعانوا العالم الإسلامي في الحروب الصليبية... وبلادنا أيها الأبطال لها ماضٍ وتاريخ وحضارة عظيمة، وفي أرضنا تكمن الثروات الضخمة...". [2]

خوجة نياز له شخصية شجاعة وحساسة في نفس الوقت، كانت أيضا نفسيته تتألم على ما تراه في بلاده من عنف واغتصاب لأملاكهم وبناتهم خصوصا أنّه رحل متدينا لا يرضى المساس بدينه أو حتى الاعتراض على قوانينهم الإسلامية، لكن لم يستسلم لهذا العدو وبقي يحارب من أجل تغيير نظرة العدو للدين الإسلامي.

3- شخصية الأمير التركستاني:

أ- البعد الجسمي:

الأمير ليس مجرد شخصية رئيسية ومحورية فحسب، بل هو أيضا البطل السارد في الوقت نفسه، يروي لنا ما جرى من أحداث تخصه وتدور حوله، كما يعرفنا على الشّخصيات الأخرى وعلاقتهم بها، هذا البطل كان يعيش في مقاطعة قومول، وكانت الصين قد احتلت هذه المقاطعة وبعد الاحتلال أصبح القائد الصيني للمنطقة هو الحاكم بأمره، كل شيء يجري على هواه والحسرة تملأ النفوس وتطل من العيون الحزينة،

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص75.

[2] نفسه، ص51.

الأمير قومول هو ملك حكيم لشعب تركستان، لديه شخصية دينية تستخدم الدولة التّي يقودها مبدأ الدين، عند وصول المستعمرين الشيوعيين الصينيين، أصبحت عائلة ثم أخذ من قبل الغزاة، كما أراد القائد الصيني أن يتزوج الأميرة الملكية بالقوة، كان واحدا من الأشكال القاسية من الغزاة الشيوعيين في الصين، توضح هذا في الحوار التالي: "لقد درج الفاتحون على احترام عقيدة اهل البلاد المفتوحة، هذه خرافات لا أؤمن بها".[1]

تميز الأمير بالذكاء في التخطيط عنما لا يمكن هناك مخرج من التهديد الصيني حول اقتراح القائد الزواج بابنة الأمير، طلب الأخير مقابلة العلماء للإتيان بالحل، توضح هذا في الحوار التالي: "لا تجزع أيها القائد... ولسوف أعود إليك بالأنباء التّي تسرك بعد أن ألتقي بعلماء الشريعة... أتسمح لي بالانصراف".[2]

كان الأمير التركستاني يعيش حالة المسكين في قصره لا يتمتع إلا بسلطة اسمية، وكانت الصين تحتل منطقة "قومول" وشراء أراضيهم لكي يقيموا فيها البيوت.

وبعد معاناة الأمير التركستاني قرر طلب المساعدة من مصطفى مراد حضرت، وبدأ في كتابة رسالة للقائد الصيني "أنّه لا يمكن أن يزوج ابنته بالقائد الصيني لأنّ ديننا يمنع ذلك وأن ابنتي لا تفكر بالزواج، ومن ثم تراني خاضعا لاعتبارات عقائدية وإنسانية أمّا لا تقبل أن نهمل تقاليد جيرانها أو تتنكر لعقائدهم"[3]، وعندما قرأ القائد الصيني رسالة الأمير التركستاني كورها ثم رمى بها وبصق عليها ولم يعجبه الامر، وطلب اخذ مولاي الأمير التركستاني في الليلة نفسها إلى السجن، ليلتها بكيت المدينة كما بكت بالأمس على شهداء المعركة، وبعدها أدرك الناس أنّ الغزو الصيني يحمل في طياته خطرا "قومولّ"، ومع ذلك فقد كان الأمير يمضي بين الزبانية الصينيين مرفوع الرأس، ويشمخ بانفه في كبرياء، كان في صمته ثورة، وفي استسلامه عاصفة، وفي نظراته الشاردة نداء دموي

---

(1) نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص05.

(2) نفسه، ص06.

(3) نفسه، ص11-12

رهيب لحماية عرضنا وديننا، كان الجو الحزن يخيم على قصر الأمير وعائلته في حيرة وحزن وآلام، وظل الأمير يعاني بالوحدة والعذاب في السجن.

وبالرغم من الحصار الشديد الذّي أقامه القائد الصيني حول الأمير، وكان يسمح لبعض الرجال بخدمته وزيارته لعله يقنعه ويزوج ابنته من القائد، وكان الأمير معتكفا في سجنه يصلي ويفكر، آلمه أن يتنكر له الزمان، ويتحول من القصر إلى السجن، ومن آمر ومأمور، وممن يتلقى أوامره من رجل كافر لا يؤمن بالله ولا برسوله، وقال الأمير التركستاني لرجاله: "أنتم رجال، وتلك حكمة الله"، وطلب منه خوجة نياز الخروج من السجن فضحك الأمير، وشد عوده الفارع، وتطلع إلى الآفاق بعيني صقر جريح وقال "ليس لي مفاتيح السجن وللسجن جدران يا مولاي"، قال هــ خوجة نياز: "إنّ لم تكن لك مفاتيح التّي تفتح بها السجن ولا السواعد التّي تهدمه فإنّ لك عقلا يستطيع أن يحملك على جناحيه إلى الخارج..."، صمت الأمير برهة ثم قال: "حسنا... اذهب إلى خوجة نياز ول له الأمير قادم غدا".[1]

كان الأمير يعلم أنّ نهايته الموت وينطق كلمة الموت هكذا ببساطة، الأمير يقف على أعتاب الموت ويتصور أنّه سوف يأوي إلى حفرة نائية مظلمة لا حس فيها ولا خيل ينام عاجزا في قبره، ويفكر كيف الأحداث تهز العالم من حوله دون أن يستطيع المشاركة في شيء وهو تحت التراب، يرقد عاجزا كقطعة من خشب متعفن.. أليس الموت رهيبا.[2]

وفكر في كتابة رسالة إلى القائد الصيني يعتذر فيها على ما بدر منه من جفاء، ويعيد النظر في الأمر من جديد بطريقة فيها النجاة والفائدة والتخلص من السجن وطلب القائد بإحضار الأمير "قومول" وجلس الأمير خافض الرأس، مال الأمير التركستاني على

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص18-19.

[2] نفسه، ص21.

القائد هامسا "إنّ أمرا كهذا لا يحله العنف"[1]، وطرح الأمير فكرته بأن يطلق سراحه لكي يتمكن من الاجتماع بعلماء الشريعة ويناقش الأم معهم لعله يستطيع الحصول منهم على فتوى دينية تتيح هذا الزواج، فاذا ما وفق الأمير لإخراج مثل هذه الفتوى الممهورة بتوقيع الفقهاء، حل الإشكال، وساد الهدوء، ونعم الجميع بالأفراح والسعادة...، وطلب الأمير من القائد بالانصراف، ولقد عاد الأمير بوجه غير الوجه الذّي ذهب به، لم يعد يرى في وجهه عيني ملك، إنه يلبس أفخر الثياب، ويحوطه الحرس وجوقة الشرف من كل جانب "أين هي الحرية اذن؟ ثم كيف أرضى عن نفسي وأنا أرى العدو يعيث في الأرض الفساد ويحاول القائد الصيني أن يمرغ شرفنا في الرغام وديننا هو شرفنا"[2]، ودخل الأمير قصره حزينا مكتئبا، واحتشد حوله أهل بيته، توافد عليه القوم من كل جانب، وبعدها عقد جلسة تاريخية التّي لا تنسى، ومن بينهم خوجة نياز حاجي، وكانوا رجالا عظماء يجلسون منكسي الرؤوس يعلوهم الكدر والعناء، وقال لهم الأمير: "أيها الرجال يجب علينا أن نعود من حيث أتينا"، قال الأمير "أن نخلع رداء الأمراء والعظمة وأن نعود رعاة إبل وشاه ثم نبدأ من جديد المعركة... فإن متنا كان هذا غاية الشرف... وأن انتصرنا وبقينا... المنهزم ليس أميرا... ولا يصح أن يحكم... إن حكم المنهزمين يجعلني أسخر من نفسي، أنا أمير ويأمرني القائد الصيني... أليس هذا عين الخيبة والفشل".[3]

وافق الأمير على زواج ابنته من القائد الصيني وسوف يقيم العرس في قصره وسوف نفدي بذلك شعب "قومول" ورد الأمير: "الله معنا... ولن يخذلنا"[4]، وفرح القائد الصيني بأن سقط الاعتراض الديني وسادت "قومول" موجة من الغضب والسخط ضد الأمير والعلماء المسلمين وشرط الأمير أن لا يتعرض أحد للقائد الصيني حتى ينتهي

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص23.

[2] نفسه، ص29-30.

[3] نفسه، ص31.

[4] نفسه، ص32-33.

الأمر بسلام ويستسلم الناس للأمر الواقع، وطلب الأمير من ابنته أن "لا يريد الله إلا الخير" "لعلّ فيها الخير... كل الخير...".

وكان قصر الأمير يدعو الرجال الجبال دائما في المناسبات المهمة، وكان الأمير خائفا من أن يدنس أحد المعارضين ووزع رجال الجبل في كل مكان من الداخل إلى خارج القصر، وأعطاهم الأوامر بن لا يسمحوا بدخول، وأن يراعي الدقة في الحركة والنظام، وفجأة سمعنا صوتا في جنبات القصر يدوي "الله أكبر... الله أكبر..." وانطلقت البنادق القديمة، واندلعت المعركة التّي أجعلها رجال الجبل، وبعدها تم القضاء على رجال الصينيين وساد الذعر جنبات "قومول" ووقف الأمير وسط الساحة ينظر إلى المشهد الدموي وإلى جواره ابنته، وضمها إلى جسدها بحب وحنية رائعة: "أستطيع أن أقول الآن أنني أمير قومول...".[1]

قال الأمير بكل فخر واعتزاز "سأضل أميرا طوال حياتي... أعني لن ألقي السلاح ولن أقبل الهزيمة مرة أخرى... ولا أقبل الفشل فسأمضي في طريق الجهاد والموت... وهذه الطريقة الوحيدة التّي يمكنني أن أعيش بها أميرا وأموت بها أميرا... وألقى الله مسلما".[2]

ب- البعد الاجتماعي:

يمكن القول أن الأمير عاش في عالمين، العالم الأول هو في بطن أمه والعالم الثاني خارجا بعد ولادته، أو بعبارة ذكرها الأمير أنّه جاء إلى هذا العالم مرغما ومجبرا على هذا المجيء "هكذا بدا الأمير سأضل أميرا طوال حياتي أخدم مقاطعة "قومول" ولا أقبل الهزيمة وسأواصل على الجهاد حتى الموت، وهكذا يمكنني أن أعيش بها أميرا وأموت أميرا وألى الله مسلما".[3]

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص35.

[2] نفسه، ص36.

[3] نفسه، ص37.

فهو لم يكن يريد التخلي عن عالمه الجميل وقصره الذّي عاش فيه، لقد ولد الأمير وكان يؤانس الوحوش ويقتات الأعشاب حتى لا يرى المأساة بعينه، ما أتعس العاجز المظلوم والأمر هو أن أشد تعاسة كان يمس الأمير بحد ذاته الآن زمني هو زمن التعاسة والوجع الجماعي الذّي يرهق البلاد الغارقة في الحرب وهجوم القائد الصيني، ولم يجد أحدا بجانبه سوى "خوجة نياز حاجي" حيث قام بإنقاذه من السجن، وواجه مشكلة مع قرار القائد الذّي أصدره، وكان يهز البلاد من أقصاها ولد الأمير ولم يجد أحد يقف بجانبه وكان يواجه المشاكل لوحده ولم يمنع الظروف القاسية التّي كان يعيشها الأمير التركستاني حيث للدراسة والتعلم وحفظ القرآن، فقد كان ذكيا وفطنا في التخطيط والتفكير في الهروب من القائد والقيام بعدة مآمرات ومواجهات ضد الصينيين ، الأمير هو الحر الذّي يرضى عن نفسه، كيف أرضى عن نفسي وأنا أرى العدو يعيث في الأرض الفساد، ديننا هو شرفنا ونبدأ من جديد المعركة لمواجهة العدو الصيني، فاذا متنا كان هذا غاية الشرف المنهزم ليس أميرا "الله معنا... ولن يخذلنا".[1]

ج- البعد النفسي:

تبدأ صراعات الأمير "قومول" مع الحياة من أوّل يوم جاء فيه إلى هذه الحياة، فهو يعتبر نفسه أنّه جاء مرغما فهو لم يرد التخلي عن عالمه ومعاناته، بدأت منذ أن أخرجوه من بطن أم "ومعاناة التّي كان يواجهها مع القائد الصيني على الرغم من ما شهدته مدينة "قومول" من فواجع وكوارث، فبعد أن فشلت محاولة حاكم قومول الصيني وانهزامه أراد أن يستولي على الأمير وثارت ثائرة العلماء واندلعت الثورة، فبعدها أصبح اسم قومول على كل لسان كان اسمها رمزا للرفض والعزيمة، وكانت مدينة قومول رمزا مثالا للكرامة والإيباء". [2]

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص30.

[2] نفسه، ص89.

ومعظم الرجال يشعرون بالفخر لانتمائهم اليها، فقد تعرضت قومول للانتقام، وكان قصر أميرها مركزا لتصويب الرصاص والنقمة بالأخذ الثأر، وبالرغم من كل شيء فقد كنا دولة صغيرة في مجابهة دولتين كبيرتين هما الصين وروسيا، ولكن من صغر حجمنا مبررا لكي نفتح أبوابنا للغزاة، ونفرط في أغلى ما وهبنا الله، لتمضي الحرب كيفما شاء الله وسيبقى طوال حياتنا محاربين، فهذا هو قدرنا لمواجهة الأعداء والسيطرة عليهم، امتد النور إلى جميع الأنحاء وخفقت أعلام النصر في أنحاء "قومول" وتناقلت المقاطعات المجاورة أنباء "الانتقام المشروع" الذّي حمل لواءه أميرنا ومعه القائد الفعلي "خوجة نياز حاجي"، وعلى الرغم أني شخصا شاركت بعنف في موجة الثأر لديننا ووطني فلم نخاف من لقاء الله، وإذا كان مصر الشهداء هو الجنة. [1]

ثالثا- الشّخصيات الثانوية:

1- شخصية نجمة الليل:

أ- البعد الجسمي:

شخصية نجمة الليل في رواية تركستان كانت بمثابة خادمة تكرس حياتها في المملكة، كانت تحب الخادم مصطفى مراد حضرت لكنها لم تتاح لها الفرصة من الزواج منه كونها مهتمة بعملها فقط، كانت نجمة الليل على حسب ما ذكر في الرواية جميلة فاتنة شجاعة واثقة من نفسها "لم ترد يا مصطفى حضرت؟ ماذا تنتظر؟ سوف تندم حتى آخر حياتك إذا ما جاء صيني لئيم وضمني إليه..." [2]، فطوال قصتها ظلت نجمة الليل صامدة على كل الضغوطات محاولة إقناع مصطفى الزواج منها، "اقتربت إليه هامسة: أيها المجنون... انتهى عصر الأمير... فلا تربط مصيرك بعالم يزول، ومجد ذاهب... أهاهنا أنا قدامة إليك يا مصطفى"[3]، كانت نجمة دائما تكرر أنت روحي وحياتي يا مصطفى

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص37.

[2] نفسه، ص13-14.

[3] نفسه، ص39.

خاصة حينما رأته يضرب بسيفه يمينا ويسارا فزادها شوقا وحبا له متمسكة بعبارة أنت الذّي أبحث عنه يا مصطفى، وهذا ليل المعجبين يا مصطفى، فمسكينة نجمة الليل حلمت بأنّ بستان القصر يفوح في جنباته الروائح الزكية بسبب زواجها من مصطفى قائلة: "كنت أفكر بالأمس في الزواج، لأني لم أكن أجد عملا ذا قيمة أعمله، واليوم حضرت بالجهاد الذّي سوف ترى فيه الأرواح معلقة بالسماء".[1]

كانت نجمة الليل تشع كالقمر في القصر وابتسامتها الخالدة في ذهن مصطفى تتيم بالهدوء والوقار والسكينة منذ ألوف السنين، فهي العتم والضوء الذّي يتحدى به الظلمات وسط المراعي قاصدا قيادة الثوار، وهذا يعني أنّ نجمة الليل كانت جميلة وجذابة حنونة بكلامها ورزانة عقلها.

مضت نجمة الليل في عتمات الليل تتدرج كالخيال اللطيف له حفيف الملائكة، والعيون الخضراء تضيء بجوهرتين، والوجه الابض الذّي يفيض حيوية وجمالا، يتألق في نور الابتسامة العذراء، صورتها لم تزل عالقة في قلب روحها مصطفى مراد حضرت،[2] بالرغم من كل هذا نجمة الليل طول عمرها ارض بالأوحال فوق اوحال، لقد كان لها من العشاق أكثر من عشرة، كانت تجمع بين سائس الخيل وقت المراعي والجندي السمهري والعجوز الفني الذّي يجود عليها بالجواهر، ولكن هي اختارت إفداء روحها أجل حب وطنها وإخلاصها للأمير وزوجته وخاصة عشيقها مصطفى. [3]

والسبب الوحيد الذّي استطاع تهدأة الضابط الصيني الظالم هو نجمة الليل، حيث أصبحت تركب عربة فخمة يجرها جوادان، وإلى جوارها الملك الصيني وكل السائرين في الشارع يفسحون الطريق ويرددون في كل المنطقة إشاعات أنّها امرأة الدعارة والدناءة وأنّها باعت نفسها للمستعمرين، ولم يفكر أحد منهم ما السبب الذّي من أجله توقفت المذابح

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص60.

[2] نفسه، ص41.

[3] نفسه، ص71.

في قومول إلى حين، وبدت نجمة الليل أكثر شحوبا وفتنة، وأصبحت تظهر في مجتمعات الصينيين يحوطنها الاحترام مما جعل العجب والدهشة يسيطران على المواطنين والمواطنات في المقاطعة، حتى أن جاء اليوم وبعد أن تمت الاتفاقية بين الحاكم والروس وجاءت الطائرات والدبابات والمصفحات الروسية، تغيرت الأوضاع، كما تم اعتقال رئيس الحكومة وكبار القادة، وتمت السيطرة على الأرض الإسلامية وضد الشعب الإسلامي في تركستان الشرقية، ومع كل هذا حاولت البطلة نجمة الليل إقناع الرجل الصيني بكل حب وروح رومانسية تحت إطار التمثيل، بأنّ الحرب والدماء من الأشياء التّي تكرهها وتسبب في كرهها له، فاقتربت منها وقالت: "أنا أحبك لكني لن أبقى لحظة واحدة معك إذا تسببت في قتل واحد من أبناء شعبي"[1]، وظلت على هذا الحال إلى أن نصب فخا للرجل الصيني أي زوجها حتى قتلته في إحدى الغابات وانتظرت فترة الحداد ليحين الوقت وتتزوج من حبيبها مصطفى مراد حضرت، قالت في غيظ: "لقد قتله لأني أريدك"[2]، وفي لحظة حملها مصطفى إلى الجبال كان زواجهم أي زواج نجمة الليل زواجا مختصرا جميلا شارك فيه أهل إحدى القرى وقضوا عشرة أيام ممتعة إلى أن حان الوقت الذّي باعت فيه نجمة الليل مجوهراتها لتشري جوادا لزوجها مصطفى ليكملوا المسير ويعيشوا حياة سعيدة مليئة بالسلام والأمان، ويرجع بالسلام إلى بلادهم ويفر الأعداء لتعود تركستان كلها أغنية حب خالدة وسيكون هم وأمثالهم هذه الأغنية المقدسة وسر خلودها إذا تلك هي الجنة تلك هي الأرض. [3]

لم تكن حياة نجمة الليل من السهل أن تتقبلها أي من النساء، لأنّه بعد كل ما حدث اضطرت الفراق من زوجها بعد أن شعرت أنّها لا تستطيع إكمال المسير بسبب الجنين الذّي بأحشائها، كانت فرحة ممزوجة بالخوف والفزع من أن تخسر زوجها في الحرب

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص98.

[2] نفسه، ص103.

[3] نفسه، ص130.

والمعارك القاسية دون أن تلتقي مرة أخرى بها وبولدهم الذّي لم يولد ولم يرى والده[1]، افتراقا لمدة من الزمن حتى استكمل مصطفى مسيرته ثم اجتمعا مرة أخرى بصورة الأبطال القوميين الذين ضحوا بأنفسهم من أجل استقلال بلادهم، الذين ظلوا سنوات طويلة يتصدون ويحطمون من محاولاته المستمرة للقضاء على استقلال البلاد[2]، حتى أن أدرك زوجها مصطفى وبأوامر الامراء والجنرالات أنّه يجب أن يحمل زوجته وابنه ويكفا بالرحيل قائلا لها: "نجمة الليل لقد حان الرحيل معا"، لكن للأسف الشديد فرقتهما المعارك مرة أخرى لمدة طويلة واستسلمت نجمة الليل بأنّها لن تلتقي بزوجها مرة أخرى وأن الحرب سلبته منها.

ب- البعد الاجتماعي:

نجمة الليل صحيح هي خادمة في قصر الأمير وكانت على استعداد للتضحية لحماية العائلة مثل التظاهر بأنّها أميرة لأنّ القائد الصيني أراد أن يطلب يدها حتى تتمكن العائلة من النجاة من الخطر، كانت نجم اليل على استعداد على إفداء روحها للعدو الصيني حتى لا يتم إلحاق الأذى بالعائلة، ورغم كل تضحياتها يعتقد الناس أنّ جمة الليل قد خانت البلاد بالزواج من القائد الصيني، حيث كان الكثير يقلدون نجمة الليل مما يزيد الحزن من ذوي الخبرة، لكن يظل هذا النوع م التضحيات شكل من أشكال التضحية بالدولة وهذا كله في منظور الحوار التالي: "ونزلنا، ثم انطلقنا عبر الأغصان المدلات والزهور والفواكه الشذية ومضت أمامي ومشيت خلفها صامتا، قائلة في حزن: قالوا عني أنني طلق الشرف والعفاف...، نجمة الليل مرت بالعديد من المشاكل قائلة: من أنتم، أتعتقدون أنكم قادرون على هزيمة ملايين الصينيين"[3]، كان الهدف من هذا الحوار أن تقنع مصطفى مراد حضرت أن يتزوجا ويرحلا من بلاد تركستان ومنطقة قومول، لأنّها

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص137-138.

[2] نفسه، ص170.

[3] نفسه، ص39-40.

كانت تراه الوقت المناسب للنفاذ من البلاد الي فيها الوباء قادم من الشرق والموت يزحف من الغرب، وكل يومياتهم حيرة لا حياة ولا موت تناديهم في كل وقت وفي كل مكان، ناصحة له أنّه لا يستطيع الوقوف في وجه العدو، وأن الحرب لا توقف أي شيء وأن الازهار ستنمو وتترعرع والحبالى تضعن أطفالهن والرعاة يقفون على سفوح الجبال، والناس تحصد وتقول: يا مصطفى أنت ستصبح كالهارب المتبتل الذّي يريد أن يجعل من الحرب والتفكير فيها صومعة يخلو لها.

كانت كل كلمة تنطقها كلمة قوية مؤثرة تورق بروعة الصدق وتفوح من حروفها رائحة الحياة الجياشة، فتاة جميلة تشم وردة حمراء وتداعب بها خدها، إنّها نجمة بسماتها ونظراتها ذات معنى قائلة للضباط: "نحن لا نؤخذ عنوة... وأنا أحب الشجعان لكن أكره الجلادين القساة"[1]، تمثل دور المرأة والزوجة السعيدة التّي ستسكن قصر الملك الصيني بدور السعادة والعشق قائلة في اشمئزاز: "يا إله!! كيف يسعد عاشقان ترقبهما أو على الأقل يعرفان أنّ هناك من ينتظر... لا... بلا ليذهب بعيدا بعيدا، أنا سيدة القصر وقد أصبحت طوع يمينك".[2]

المسكينة نجمة الليل كانت تخطط خطة لمساعدة الأميرة وتولت خدعة الضباط ليفر الأمير والأميرة من القصر، عاشت في عالم يدعى عالم الحيوانات تركض وتنهش وتلعق الدماء وترتكب الدس محاولة إبعاد الأمير الصيني من الاقتراب منها، داعية أنّها خائفة أن تكون متعة عابرة وأن دينها الإسلام وعلى الملك أن يدخل الإسلام مثلها بدون خوف من الجثة التّي كانت أمامها وتعرف أن قيادته ستدمر كل موجود، تحت ظل التضحية وحبه لوطنه وتمسكه بدينه، وأكملت مسيرتها دون نسيانه أو الالتفات إلى الوراء لأنّها بطلة محاربة حتى وصلت بها الأراضي إلى مدينة كشمير التّي فيها توافد عليها الكثير من المهاجرين التركستانيين، وفجأة وبدون مقدمات التقت بزوجها مصطفى الذّي لم تكن تحلم

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص87-88.

[2] نفسه، ص99-94.

أن تراه مرة أخرى قائلة: "لم أكن أتصور أن تنجو من الموت يا مصطفى، إنّ الشيب قد صبغ شعرك والتجاعيد ملأت وجهلك، كأنما مر على فراقنا مائة عام...". [1]

هكذا كانت حياة نجمة الليل الاجتماعية التّي خاضتها دون أي استسلام أو خوف من الموت بدافع الحب والعزيمة في أخذ الحرية والاستقلال عن العدو الصيني.

ج- البعد النفسي:

نجمة الليل هي رمز للمرأة الشجاعة والقوية التّي قامت بدور الممثلة وكانت فيها زوجة الملك الصيني، وهذا لاسترجاع حرية إخوانها وأخواتها التّي سلبت منهم أثناء الحرب من دمار وتعذيب، اسمه رنان كجمالها الفاتن الذّي اخذت به عقل كل من يراها، تمتاز بطبعها الحاد وثقتها بنفسها، ولكن هذا لا يعني أنّ نجمة الليل عاشت أسوأ لحظات من حياتها وتدمرت نفسيتها خاصة مع حبيبها مصطفى الذّي رفض الزواج بها لظروف الحرب والوطن، كانت نجمة الليل كلماتها دائما مؤلمة تحمل المعاناة التّي رأتها في تركستان قائلة إلى مصطفى: "من أنتم؟ أتعتقدون أنكم قادرون على هزيمة ملايين الصينيين؟ دعنا يا مصطفى نتزوج ونرحل عن هذه البلاد، أنت تعيش بقلب ميت قبل أن يحين الموت يا مصطفى، وظلت محاولة إقناعه بكلماتها الحنونة التّي تحمل معها دموعا والحرب يا مصطفى لا توقف أي شيء"[2]، كانت كل نبراتها تشع بالأحزان الثقيلة، أو تظن أنّ مصطفى يبقى ليقدم الزناد للخيل، ويرعى الأغنام، كلكم ذاهبون، نعم فلا معنى للحياة في ظل الهوان، فمسكينة نجمة الليل كل نظراتها طائلة ناظرة لما يحدث حولها ثم قالت: "قلبي يحدثني بأنك لن تعود يا مصطفى لو كنت تحبني حقا لغاض قلبك بالأمر، فالحب الكبير يخالجه الخوف وأنا لست كباقي النساء دافعة يدها لم أذق بعد شيئا من الحب كباقي النساء يا مصطفى"[3]، توسلت إليه أن يحملها معه، وتضرعت بدموعها أن لا

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص207.

[2] نفسه، ص40.

[3] نفسه، ص45-46.

يتركها للعدو الصيني ويذهب في صفوف المعارك، نجمة الليل دموعها جارية وقلبها حزين مليء بالشوق بأنّ تجتمع مع حبيبها مصطفى قائلة: "هؤلاء الحمقى لن يتركونا وشأننا"، كل هذا خوفا عليه من الحرب.

إنّ نجمة الليل امرأة ال ترهب أحدا إلا الله سبحانه وتعالى، وواجهت العدو في وجهه دون أن تخفي عليه الحقيقة كونها قادرة على مواجهته بكل شجاعة: "لست الأميرة، الأميرة المسكينة طفلة صغيرة، وقد هرب إلى الجبال كالقطة المذعورة، أنا في الحقيقة الوصيفة الأولى وإن شئت فأنا سيدة القصر، كان الأمير وزوجته وأفراد أسرته يأتمرون بأمري، هل عرفت الآن من أنا"[1]، وهنا أحسن نجمة بخيبة أنّها قامت بواجبها نحو القصر وأهله.

كانت نجمة تتمتع بروح مرحة للتمثيل بطريقة رومانسية، فاقتربت منه وقالت: "أنا أحبك، لكين لن أبقى لحظة واحدة معك إذا تسببت في قتل واحد من أبناء شعبي..." [2]، حتى أن أغرقت عينيها في الوسادة وانفجرت باكية، لطالما كان مكانها كرسي من القطيفة الحمراء وترتدي لباسا أسودا، يريد من فتنتها لشدة ما تغيرت أصبحت تدنو حزينة وسيمة وقورة، واجت مصطفى في أسى اليأس يجهل الإنسان بفعل أي شيء يا مصطفى مراد حضت قائلة: "لشدة ما أحترم الرجال الذين ماتوا في المعركة، تمنيت ألا يموت أحد على أعواد المشانق أو في ساحات السجون... يجب أن يموت المناضلون في الميدان ولا يسلموا أنفسهم للعدو أحياء"[3]، وضحكت في ألم: "ها أنت تتكلم أخيرا، حسنا أنا لا أبرر تصرفاتي، عندما سقط القصر أردت أن أحمي سكانه، وأردت في الوقت نفسه ألا أون مطية لكل غازٍ، لهذا اخترت رجلا وتزوجته، وتنهدت في حسرة وقالت: الأمر مر ببساطة غريبة كاذبة أنّها عندما راته متشبثا بها وضعت شروطا وقبلها وتزوجها وحماها لهذا

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص47.

[2] نفسه، ص90.

[3] نفسه، ص111-111.

ستأمل وتشرب وتنام وتلهو بلا روح لتصبح شبيهة بتماثيل الشمع، تحتاج لمن ينفخ فيها الروح كاللعب اليابانية الجميلة التّي تجري وتصدر أصواتا وهي من خشب أو صفيح"[1]، فالحياة الحقيقية لنجمة الليل لم يعد لها وجود فهي تضحك وتبكي وتنفعل كممثلي المسرح، مستهزئة من نفسها قائلة لمصطفى: "أنا لم أكن سوى وصيفة تافهة في قصر الأمير"[2]، رغم أنّها كانت ولازالت امرأة مسلمة تركستانية تؤدي واجبها نحو وطنها.

كانت نجمة الليل متأكدة من نفسها أنّها لم تخدع نفسها بفلسفة عرجاء كي تنجو من العنف والضياع، ولكي تحيا لأنّها مدركة بأنّ الحمقى لا يفهمون، وكان يجب عليها أن تنقذ أسرة الأمير وكان لابد عليها أن تدفع هي بالثمن، لأنّ كل واحد منهم يحب الحياة ويكره الموت، فالإنسان الحقيقي بالنسبة لها هو بالذي يشعر بأسى المعذبين والمضطهدين، وأتت إلى ذلك المكان لتنتقم من هؤلاء المعتدين، والقصر كان بها بمثابة نزوة من نزوات الشيطان فقط، وأن لها مهمة وعملية يجب القيام بها ليحترق الظالمون بنيران غدرهم وظلمهم.

2- منصور درغا:

أ- البعد الجسمي:

كان منصور درغا صديق مراد حضرت، هو مثالي حالم ينظم الشعر، ويحفظ أحاديث البخاري، إنّ منصور يحلم دائما بالتاريخ بالعاطر، لم يحاول أن يوفق بين الماضي الرائع والحاضر التعس، حتى يحفظ لنفسه شيئا من التوازن النفسي، شارك في ساحة المعركة ضد الغزاة الشيوعيين الصينيين، روح القومية متأصلة فيه، حتى أنّه ينتقد دائما حالة بلاده على سبيل المثال عارض مجيء الغزاة الشيوعيين الصينيين الذين دمروا بلاده، وهذه كلها من منظور الحوار التالي:

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص112-113.

[2] نفسه، ص118.

"لماذا إذن يتركنا هكذا نتعذب ونلاقي الذل، لكن الظلم أغرق الأمة في طوفان الأحزان، العدل هو أن يستحق هؤلاء الكفرة ويعاني من أزمة نفسية مدمرة وضعفت نفوسهم إما خوفا من العدو أو الانهيار أمام ألوان العذاب أو انخداعا ببعض المكاسب المادية وبلدنا في حاجة ماسة "الحرب ارهقت كل أعصابك" [1]، وكان يقول منصور درغا "لا نهاية لعذابنا فلن نستسلم، ما دمنا بين كماشة فكها الأول في الصين وفكها الثاني في روسيا، ومحلها ضدنا ويريد القضاء على إسلامنا وشعبنا لأنّ القضاء على الإسلام قضاء علينا،[2] وكانت نشراتهم السرية في بعض المدن التّي قمنا باحتلالها وفروا قبل أن تتاح لهم الفرصة إحراق أوراقهم، يجب أن نطهر أرضنا من الإفرازات السامة والنبتات المتسلقة، وبدأ يبتسم منصور درغا وهو يقول: الإفرازات من صنع الله والنباتات المتسلقة موجودة دائما... أما أنا فقد تزوجت غجرية من الجبل لا تعرف الكثير عن الحرب". [3]

وكان الحاكم الصيني قد ذاق درعا من حلفائه ولم يستطع أن يفلت من أسار خبرائهم وكان منور درغا لشد ما تغير ظهرت الشفرات البيضاء على رأسه بالأحضان وكانت ذراعه اليسرى لا تتحرك وأنمه يحمل مدفعه بيده اليمنى وراسه بدأ أصلع إلا شعرات قليلة، ولحيته بقيت رمادية توحي بالإصرار العنيد، وفي عينه حزن لا يريم، من شدة الحزن والتعب فقال "انتصرنا" وحبيبتي الغجرية ذبحوها كما تذبح الشاة في وليمة فاخرة وكانوا يتقاسمونها كالوحوش المفترسة، كانت تصرخ وتدافع عن نفسها أمام الوحوش، فكان متأثرا بموت حبيبته الغجرية، فأحس بندم "ليتني لما هربت كان خيرا لي أن أكون أحد الهياكل ولأنهم فشلوا في العثور علي اختطفوا أسرتي كلها نساء ورجالا وأطفالا"، ودمعت عيناه بالبكاء "ذهبوا إلى ما لا يظلم أحدا"، حتى جفف الدمع من البكاء تعد الحسرة والخوف في نفوس إخوتي وأنا لم أستطع القيام والتخلص من تلك الاحتلال.

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص57.

[2] نفسه، ص70-72.

[3] نفسه، ص1.

طبيعته الحرجة تظهر للغزاة الشيوعيين، لأنّ منصور لا يستطيع أن يشهد على ظلم بلده ومنذ ذلك الحين، انظم منصور إلى صفوف المقاتلين في ساحة المعركة للقتال من أجل بلاده، وهذه كلها منظورة في الحوار التالي: "نموت ا مصطفى كما يموت الأبطال".

ب- البعد الاجتماعي:

منصور هو أكثر المحاربين عاطفيا في المعكرة، فهو دائما يحفز أصدقائه على الإيمان بالله سيفوز في ساحة المعركة، وهذه كلها في منظور في الحوار: "يا أيها الناس... لعلها صلاة الوداع... ومع ذلك فلا تتخلوا عن بيت من بيوت الله... دافعوا عن كل شبر... كل حجر فيه إنه يمثل المعنى الكبير الإلهي الذّي عشنا في ظل عقيدته منذ مئات السنين، فلنصل ركعتين لله، الثوار يذبحون في مقاطعة (أيلي) ومدينة (شهبار)، تعاني من السجن والكبت والانتقام المريع، إنّ الأداء يدبرون ويخططون ولديهم خبراء في فن التعذيب والقتل والتخريب على الإسلام والمسلمين، وقال منصور درغا: هل هذا يرضي الله، لماذا نحن هكذا نتعذب ونلاقي الذل من الظلام، لكن الظلم أغق الأمة في طوفان من الأحزان"[1]، وكان لا يثق في أحد سوى صديقه لأنّ الأيام السوداء جعلتني لا أثق في أحد واجه عدة مشكلات حاول الهرب من السجن وكنا نحارب بكل ما وهبنا الله من القوة وكانت معركة عنيفة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ولم تكن الحرب وقفا على الرصاص والطائرات والمصفحات والدبابات التّي كانت تخوض في أجساد الشهداء، وبعد فترة استطاع منصور درغا الهرب وكان يروي لنا الأعاجيب في مبنى المخابرات (ج-ب-أو)، وكان يرى منصور درغا أشياء لن يكن يتصورها، انهار وقال: "أنا رجل من الجبال لا أفهم في الحرب شيئا ولا أعرف القراءة ولا الكتابة، أخذني الثوار بخرافي وبهائمي على الرغم مني فأنا بريء لا أعرف شيئا عن الحرب"، كان مركز المخابرات يبدو كجهنم وكان رئيس المخابرات يقف بنفسه يراقب ويوجه الأوامر.

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص77.

كان يتمتم منصور درغا ويقول: "نحن كالغريق يظل يقاوم بذراعيه قوى الموت، ويضرب ويعف، ويدفع الأمواج في وهن، ثم يغوص وهناك في المجاهل المظلمة في أعماق البحر يودع الحياة في صمت وحزن، سيذكرنا أحد بعد الموت كان يحاول أن يمثل دور الغريق وهو جالس ويسبح متوهما بحماس بالغ، وألقى سؤاله الأخير وهو يلهث وكأنه يقاوم الأمواج حقيقة لا قضايا بدون رجال، مات "خوجة نياز" ومات "الجنرال شريف خان"، الأمير قومول ونحن لسنا أمراء ولا جنرالات، وماتت زوجتي الأولى وتزوجت أرملة غيرها، مازلنا نقاوم الأمواج أم نلاقي الموت في الأعماق السوداء الصامتة، وفي الأخير ذهب إلى الجهة التّي كانت تعيش فيها زوجته وكان قلبي يدق بلقاء الأم والطفل. [1]

ج- البعد النفسي:

منصور درغا كان يعاني من أزمة نفسية مدمرة ومع المعاناة كان شعبنا شعب صابرا يقاتل ولم يستسلم، كان في حركة اقلقة كأنه يكشف آفاق نفسه ويحاول أن ينشر أفكاره القديمة، وكان منصور درغا مسجونا في المكان نفسه، ورأى بعينيه ما جرى وشرب من كأس العذاب والهوان، وقد نجا من الموت باعجوبة، وحدث انفجار أثناء الليل واستطاع منصور درغا أن يهرب، أما زميلاه فقد أرداهما الرصاص قتيلين، وبعدها لعب العدو بأرواح البشر وأمن البلاد وثروتها وعبثوا بكل مقدس، فقد نجح العدو في أن يجعل من نصف البيت التركستاني جواسيس وأصبحوا يمارسوا بعضهم التجسس تحت التهديد حتى لا يزج به في معتقل، وحزن منصور درغا على موت أمير قومول وأظنهم قتلوه وتبدد الأمراء وتحولوا إلى نماذج للشقاء والتعاسة وتوزع نساؤهم في كل الأنحاء الدنيا تموج بأحداث لا نهاية لها، وأحيانا يذكر منصور درغا الأيام الجميلة والطفولة البريئة والأهل الغدير، والأرض الخضراء، والصباح الجميل، والدنيا المرحة، وأين ذهب كل هذا، وأين هي السعادة، ها نحن ننتصر ولكن الأمر لكثرة الانتصارات والهزائم أصبح

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص171.

أمرا هينا[1]، منصور درغا متأثر ومتألم لما أصابه أهله ونوبات الحزن التّي تحل به من وقت لآخر تثير ثائرته ويكاد يذهب بعقله من فقدان زوجته وموت العجوز أبيه، وتراق دماء أمي وإخوتي وعشيرتي ومخاوفي لحظة الموت يتمنون بضع آيات القرآن انهمرت دموعه ثم يقول: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.[2]

وقال منصور درغا وهو يبكي: "أعرف شاعرا طالما تغنى بالانتصارات وآمال الغد حتى فتية المدارس الذين كانوا ينشدون الأشعار في المظاهرات ساقوهم ال ساحة الموت، كان يضم منصور درغا لا تحزني يا حبيبتي لن نبقى هنا طويلا وتلبس ما تشاء وفي الجبل لا توجد مصاحف ممزقة[3]، ولا يستطيع أحد أن يدوس صحيح البخاري، وكان منصور درغا على أمل...

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص83-84.

[2] نفسه، ص149.

[3] نفسه، ص183.

رابعا- الشّخصيات الثانوية المساعدة:

1- شخصية الحاكم الصيني:

أ- البعد الجسمي:

شخصية الحاكم الصيني شخصية عنيفة وأنانية سلبية من الشعب التركستاني ووطنه وأرضه وكل حقوقه، في ليلة نم الليالي الهادئة أصدر منشورا هز البلاد من أقصاها إلى أقصاها، كان المنشور يتمثل باي تركستاني في أن يزوج ابنته من أي صيني يتقدم لطلب يدها، برغم اختلاف العقيدة مستدعيا أمير قومول المسكين وقال له: "أيها الأمير لقد عزمت على مصاهرتك أنت بالذات مقهقها أنّه لا يعرف شيئا يسمى المستحيل وأنّه لا يؤمن بأية خرافات، راغما له بأنّ الأمر ليس أمره بل يخص الأميرة وأن له بضع ساعات فقط للتعرف"[1]، وعند سماعه بالرفض أخذ الحكام الصيني بسجن أمير المسلمين بين أربعة جدران دون أن يحس به وبمشاعره المحطمة تجاه ما طلب منه، لكن كانت فرحة الحاكم في موجة الطغيان تمتد وأصوات الاستغاثة تعلو والسياط تعلو وتهبط وتمزق الأجساد العارية، والنسوة يسقن إلى جند الغزاة والرجال يشعرون بالخجل والضعف[2]، وعند لقائه بالأمير بعد إخراجه من السجن لطلب الأمير رؤيته قائلا له الحاكم الصيني لم أجد وسيلة أخرى بعد أم أمهلتكم بعض الوقت ورفضت زواجي من الأميرة، وأثناء تناول الحديث ابتسم القائد الصيني وعبث بشاربه متمتما أنّه يرى أنّه سوف يقترب من الأمير أكثر فأكثر عارضا عله أنّه باستطاعته أن يبقيه على كرسي الإمارة وأنه يملك كلمة مسموعة لدى القيادة. [3]

كانت ظنون الحاكم أنّه باستطاعته امتلاك أي شيء يريده بكلمة بسيطة تخيف الأمير التركستاني، متأكدا بأن علماء الوراثة أثبتوا أنّ الصيني إذا تزوج بأوروبية مثلا،

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص6-7.

[2] نفسه، ص17.

[3] نفسه، ص23.

فإنّ الأبناء يحملون الصفات الصينية، وذلك بسبب قوة الجينات التّي توجد في خلاياهم، حتى قام الحاكم بإعطاء أوامر مشددة بأنّ لا يسمحوا لأحد بالدخول أو الخروج وزرع رجال في الجبال وفي كل مكان داخل وخارج القصر، وتجهيزات حفل العرس متواصلة في القصر من مواكب الحاكم الصيني تصحبه الموسيقى العسكرية واللاعبون بالنار وبعض الرقصات الشعبية الصينية، وفقراء قومول المساكين يبتعدون ويبتعدون عن قلب المدينة من شدة قساوة المظهر، حتى إذا انقلبت الأفراح إلى كارثة محققة بعد أن ظن أنّ الحاكم أنّه عندما يتحرر كل الشعوب من العادات والتقاليد وسطوتها، يشعر أنّه أصبح في العالم الذّي يصبح فيه الرجل العصري إله نفسه لا تحكمه سماء ولا تخيفه قوة مجهولة[1]، إلى لحظة مهولة رأى القائد الصيني نفسه بين الضباط العظام والرجال الكبار جيشا متناثرة في أورقة القصر، لقد تم القضاء على الرجال الصينيين وساد بالذعر جنبات قومول، وكل من بقي من الصينيين كان يفر هاربا أو يتوسل ضاعا أو يسجد على الأرض طالبا العفو معلنا إسلامه وإيمانه. [2]

ومرة ثانية وبعد الانهزام الأول ازداد غضب الحاكم الصيني واستطاع أن يبسط سلطاته من جديد وأعلن الحرب في جميع بالأنحاء، وأصبحت الدماء والدمار في كل مكان، والثوار يذبحون في مقاطعة ايلي وفي مقاطعة أقصو وتشوشك، وشهبار[3]، وهكذا ظل الحاكم يسير في هذا المنوال وكان هدفه القضاء على الإسلام والعقيدة، ويزعم أنّه على صواب وحق.

ب- البعد الاجتماعي:

كان الحاكم الصيني يتمتع بسلطة قانونية من بلده الصين، لذا جاء على هيئة دب وحشي لم يرى أمامه سوى الخراب والدمار والدماء المسفوكة في كل زاوية من زوايا

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص25-26.

[2] نفسه، ص34-35.

[3] نفسه، ص54.

منطقة تركستان، وبالضبط في قومول، يظن أنّ الوحشية والحرب هي الطريقة الوحيدة للمفاهمة بينه وبين الشعب التركستاني، وكان المجتمع الصيني يتلذذ بالخراب ويظن الحاكم من دونه لا تسير القوانين، وأنه هو الوحيد القادر كونه يعتبر من القادة الكبار.

ج- البعد النفسي:

كانت نفسية الحاكم في البداية جشعة لا يرى من حوله سوى نفسه، وتحول إلى وحش حين رفض الأمير تزوجي ابنته منه، ولكن شعر بالفرح والسعادة عندما قبل الأمير حالما أنّه سينجب أطفالا حكاما مثله مثل ابني "سعيد كل السعادة يا أمير.... كلما تصوت أنّ الأميرة بين ذراعي... وأنني سأنجب منها أطفالا غاية في الروعة والجمال، أخاف أنّ أجن من الفرح سوف نصبح أسرة لواحدة سعيدة ولن يكون هناك غالب ولا مغلوب..."[1]

2- شخصية الجنرال:

أ- البعد الجسمي:

شخصية ثانوية كان لها دور كبير في المعركة الشديدة والعنيفة ضد الصين والروس، كان صلبا عنيفا وشديد الثقة بالنفس، كأنها خلقه الله محاربا وهو شخصية نضالية ثورية.

"أنا لا أفهم شيئا اسمه السياسة علمتني التجارب أن الحرب هي الأسلوب الوحيد الذّي كان لنا... هي الأسلوب الوحيد أيضا إلى أن تبقى لنا، ومن العسير بأنّ يستسلم العدو إلا إذا قهر في المعركة".

وكان الجنرال شريف خان منهمكا في المعركة والتراب يحفر وجهه المحتقن، وكانت الطائرات والدبابات تصب نيرانها في عنف، والقتلى يزحمون الطريق ورائحة الدم تشع الجو وتهتم شريف خان "يبدو أننا خسرنا هذه الجولة"، وتكاثر الأعداء واخذنا نلاقي الأهوال في انسحاب غير منظم في الحرب.

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص24.

ب- البعد الاجتماعي:

الجنرال شريف خان كان صلبا عنيفا وكأنما خلقه الله محاربا "المهم أنّ نخرب الحرب ثقتنا بالله وأنفسنا"[1]، مجاعات هنا وهناك، وحربنا حرب ضرب من المغامرة، ومع التجارب أنّ الحرب هي الأسلوب الوحيد الذّي كان لنا، هي الأسلوب الوحيد ومن العسير أن يستسلم العدو إلا إذا قهر في المعركة، وكان الجنرال شريف خان منهمكا في المعركة، والتراب يعفر وجهه المحتقن، والطائرات والدبابات تصب نيرانها بعنف، والقتلى يزحمون الطريق، ورائحة الدم تشبع الجو وقال "يبدو أننا خسرنا هذه الجولة"[2]، بينما ما جرى لشريف خان يكاد يعتبر سرا لفترة طويلة من الزمن، لأنّه أخذوه وغيره من الأسرى إلى أماكن مجهولة، إلى جب سحيق لا يعرف عنه أحد أي شيء في مركز المخابرات.

ج- البعد النفسي:

الجنرال شريف خان كان يدخل قائلا موجها الحديث لمدير المخابرات "لو كنت جنديا من جنودي لسحقتك بحذائي كالحشرة".[3]

كان يفكر أن يدخل أورمجي في معركة يائسة (هذا ما يجب أن نفعله إما أن نموت أو نسيطر تماما على أورمجي وإيلي"، وفي هذه الأثناء كانت المباحثات جارية بين الحاكم الصيني لا يثقون في هذا الحاكم، قال الجنرال شريف خان "حربنا ضرب من المغامرة"، علمتني التجارب أن الحرب هي الأسلوب الوحيد الذّي كان هدفنا ومن العسير أن يستسلم العدو إلا إذا قهر في معركة، كنت أصعد تلا قاسا لا أكاد أشعر بما يدخل في قدمي ويدي ومن الأشواك، ووقفت على قمة عالية وأنا ألهث وأنظر إلى بعيد يا إلهي لقد سقط خوجة نياز والجنرال شريف وغيرهما في قبضة العدو ثم سيقوا إلى المركز المخابرات.

---

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص75.

[2] نفسه، ص78.

[3] نفسه، ص83.

خامسا- الشخصيات النامية والكاملة وأبعادها:

1- علاقة الشّخصية بالراوي:

نحن دراية أنّ الشّخصية ترتبط بالراوي أو المؤلف ارتباطا قويا، أي وثيقا، لأنّه هو من يصنعها ويتخيلها ويقدمها في صورتها المناسبة للقارئ، ويمكن أيضا أن تعبر هذه الشّخصيات عن رؤية الكاتب وانتمائه الاجتماعي، فالراوي هو ذلك الصوت الذّي يخرج من الرواية يتحدث أحيانا ويصف أحيانا وله وظائف أخرى، فهو عنصر قصصي متميز عن سائر العناصر ومرتبط بها في الآن نفسه، وهناك اتفاق بين مجموع النّقاد على تعريف تقريبي للراوي، فنجد رولان بارت يقول: الراوي كائن ورقي لا يمكن الخلط بين منشئ القصة وراويها، وأيضا قد يكون الراوي بلا هوية ولا اسم وقد يكون خفيا ويستنتج من بعض الإشارات أو الضمائر الواردة في الخطاب السردي[1] ، إذ أن الشّخصية تمثل عنصرا محوريا في كل سرد، بحيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات، فقد اكتسبت كلمة شخصية في الرواية مفاهيم عديدة نظرا للتطورات التّي شهدتها الساحة الأدبية[2]، حيث حاول الكثير من النّقاد والدارسين تناول هذا الموضوع بشيء من الشرح والتفصيل، ومن هنا يمكن أن نستنتج بأنّ الشّخصية هي القطب الذّي يتمحور حوله الخطاب السردي وهي عموده الفقري الذّي يرتكز عليه، فهي الركيزة الأساس في العمل الروائي. [3]

وفي هذه الرواية نجد أنّ الأحداث سردت من البطل مصطفى مراد حضرت، فالروائي لم يكن حاضرا لذلك بالبطل مصطفى قام بإعطاء لنفسه فرصة سرد الأحداث، فنجده شخصية بطولية شجاعة، حضر في كل الأحداث مشاركا في الحروب لحبه لوطنه وتمسكه بعقيدته ودينه وأيضا إخلاصه للأمير الذّي كان مصطفى خادما عنده، حتى أنّه لقي حبه نجمة الليل التّي كانت بمثابة امرأة قوية أيضا مثلت بدور الخائنة للتمكن من

---

[1] عبد الرحيم الكردي، الراوي والنّص القصصي، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 1996، ص17.

[2] جويدة حماش، بناء الشّخصية، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، ص29.

[3] جميلة قيسمون، الشّخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جماعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد 6، 2006، ص195.

مساعدة أبطال وطنها، وهنا يسمح الحكي باستخدام عدة من الرواة ويكون الأمر في شكله الأكثر بساطة عندما يتناول الأبطال أنفسهم على رواية الوقائع واحدا بعد واحد، ومن الطبيعي أن يختص كل واحد منهم بسرد قصته، أو على الأقل بسرد قصة مخالفة من حيث زاوية النظر لما يرويه الرواة الآخرون، وهذا ما يسمى عادة بالحكي داخل الحكي وعلى مستوى الفن، يؤدي هذا إلى خلق شكل متميز يسمى الرواية داخل الرواية. [1]

وسارت أحداث الرواية ال أن في لحظة أن البطل مصطفى حدثنا أنّه امتد النور إلى جميع الأنحاء بعد إخلاء سبيل الأمير وخفقت أعلام النصر في بأنحاء قومول، وتناقلت المقاطعات المجاورة أنباء الانتقام الذّي حمل لواءه أميرنا ومعه قائدنا الفعلي "خوجة نياز حجي"، وعلى الرغم من أنّ مصطفى قد شارك شخصيا بعنف في موجة الثأر لدينه ووطنه إلا أنّه كان يشعر أنّ المعركة الساخنة لم تبدأ بعد، فالصينيون لن يتركوا الأمر يمر دون أن يصبغوا أرضهم الخضراء بداء العقاب الوحشي قائلا: "وجدتني أفكر في الموت والحياة... إذا كان لكل شيء نهاية فليم نخاف من لقاء الله، وإذا وجدتني أفكر في الموت والحياة... إذا كان لكل شيء نهاية فلم نخاف من لقاء الله، وإذا كان مصير الشهداء هو الجنة، فلماذا نحجم عن اقتحام حقول الموت بشجاعة، كانوا يحدثوننا علماؤنا في المساجد خير أمة أخرجت للناس"[2]، كان مصطفى ناظرا إلى تحكم الصينيين فيه وفي وطنه، فيشعر أنّهم أصبحوا في أمة مهانة، يؤرقها الذل، ويمثل خطاها القيد الذميم ويمحق كرامتها وانسانيتها لأنّهم قوم لا يؤمنون بالله، لذا هنا اتضح بلنا أنّ السارد قام بسرد أحداث الرواية بصيغة بطولية لدمجها مع الوقائع لتكون رواية ممتعة وأكثر تشويقا لا سوف يحدث في النهاية.

---

[1] حميد لحميداني، بنية النّص السردي، ص49.

[2] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص38.

2- علاقة الشّخصية بالحدث:

تتحدد بالعلاقة بين الحدث والشخصية باعتباره مجموعة من الأفعال والوقائع التّي تصور الشّخصية وتكشف عن صراعها مع الشّخصيات الأخرى، فبدون الحدث لا يمكن أن تتحرك الشّخصية كما أنّ الأحدث لا يمكن أن تجري وحدها، بل لابد من وجود شخصيات تحركها، فنجد هنا الحدث يساهم في طوير الشّخصية واكتمال صورتها النهائية من خلال المراحل التّي تمر بها للوصول للهدف الذّي سخرت له[1]، ولذلك يلجأ القاص إلى سرد الحدث على لسان شخصياته، حتىهناك من قال أنّ الشّخصية والحدث عنوان لا يفترقان، إذ أنّ من الخطأ الفصل أو التفريقى بينهما كون الحدث أهم عنصر في العمل السردي، ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشّخصيات والروائي يأخذ أحداث الرواية من الحياة اليومية والوقائع لذا هناك عدة طرق لعرض الأحداث، قد يلجأ الكاتب لأحدها، وذلك تبعا لثقافته ورؤيته بالفنية، فقد يبدأ الروائي قصته من أوّل أحداثها ثم يتطور بأحداثه وشخوصه تطورا أماميا متبعا المنهج الزمني، وما يسمى بالطريقة التقليدية، وقد تبدأ القصة بنهايتها، فيصور الحادثة ثم يعود بنا إلى الخلف كي نكتشف الأسباب والأشخاص، وقد يتبع أسلوب اللاوعي والتداعي فيبدأ من نقطة معينة ويتأخر حسب قانون التداعي. [2]

ومن هنا عاد بنا السارد إلى الحدث الأول في الرواية "نحن الآن في مقاطعة قومول وكانت الصين قد احتلت هذه المقاطعة، وبعد الاحتلال أصبح القائد الصيني للمنطقة هو الحاكم بأمره... مل شيء على هواه والحسرة تملأ النفوس وتطل من العيون الحزينة، والأمير قومول المسكين يعيش في قصره لا يتمتع الال بسلطة اسمه، وهنا عاش جنكيز خان وأولاده... وهنا قصص كبيرة وكثيرة عن البطولات في كل فن ولون"[3]،

---

[1] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 1996، ص135.

[2] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2015، ص37.

[3] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص05-06.

وكان السارد هنا يرى بأنّ الاحتلال أمر مؤقت قد يزول في يوم من الأيام، وأن المعركة مع العدو كر وفر... إما أن يدوس العدو مشاعر الناس، ويحتقر شعائرهم، ويسخر من دينهم فهذا أمر فوق الطاقة، حتى إن وصل بنا إلى نهاية الأحداث بأنّ كل شيء من حولهم يتبدل ويتغير بسرعة، الناس والأشياء والمواقف، وخريطة العالم، كثيرا من أولادهم ذابوا في خضم الهزيمة، وأخذوا يلونون ألسنتهم بكلمات جديدة وشعارات رنانة والفضائح والانحرافات من كل الجوانب باسم التقدم مرددا أنّ الطهر والنقاء الثوري كلها تتألق على سفوح الجبال، ناظرا إلى عثمان باتور الجنرال المؤمن، فيخيل الي أنّه بقية السلف الصالح. [1]

اذن ارتباط بنية الشّخصية بالحدث هو ارتباط عضوي، وهذا الارتباط يدفعنا إلى القول أننا لا نملك أن نتصور وجود شخصية في الرواية بدون حدث، وأيضا نقول أننا لا يمكن القول بحدث دون شخصية، لأنّ الشّخصية هي التّي تصنع الحدث في الرواية، فهي القوة المولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر، لذلك لا مغالاة في القول أنّ الشّخصية والحدث شيء واحد، بحيث لا يمكن سرد حدث بلا شخصية تناسبه ويناسبها، ولا يمكن تقديم شخصية إلا من خلال مواقف، فالحدث هو الشّخصية وهي تعمل كما يقول رشاد رشدي بربط عناصر الرواية ببعضها، وأي خلل في بناء الشّخصية والحدث النابع عنها فأنّه يخل ببنية الرواية، ويحط من فنيتها الاي لا يمكن أن تتحقق إلا بترابط وانسجام بحيث يمهد كل حدث للحدث الذّي يليه حتى تنتهي الرواية بشكل مقنع للقارئ الذّي يمارس الدور الثاني بعد المؤلف، بصفته قارئا مبدعا ينفر من تشتت الأحداث وفوضاها، فكلما أجاد الروائي ترتيب أحداث روايته كان أكثر قدرة على إبلاغ المتلقي رسالته الفنية.

فالترتيب الجيد يضفي بعلى النّص قوة ويكسبه ميزة خاصة به، أما بالنسبة للحدث في الرواية هو مجموعة من الأفعال والوقائع، مرتبة ترتيبا سببيا، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية، وتكشف الأساس الذّي ترتبط به من عناصر القصة ارتباطا

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص202-203.

وثيقا، ومن الجدير بالذكر أنّ أهمية الشّخصية ومكانتها في الرواية لا تقلل من أهمة الحدث، فلا يمكن للباحث أن يدرس أهمية الشّخصية منفصلا عن الحدث، ولا دراسة الحدث منفصلا عن الشخصية، لأنّ كل منهما مكملا للآخر ومرتبط به، وأي محاولة للفصل بينهما تؤدي بالدارس إلى خلل واضطراب وفشل يحط من قيمة دراسته.

فلا يمكن لدارس الشّخصية أن ينحي عنصر الحدث جانبا لأنّ الحدث هو الذّي يبث الحركة والحياة والنمو في الشخصية، وعلى أثره يجري تقييمها وينكشف مستواها، وتحد علاقتها بما يجري حولها، وبذلك يضيف الحدث فهما لوعي الشّخصية بالواقع، ولا نعني هنا الحدث المتصل بالواقع الفعلي وإنما هو الحدث المتصل بالواقع الروائي، أي الواقع الفني الذّي يخلفه الروائي بقدرته الإبداعية المرتكزة على المخيلة، فلا يمكن للحدث والشخصية وباقي عناصر الرواية أن تكون صورة طبق الأصل عن الواقع الفعلي، لأنّها إن كانت كذلك فإنّها ستصبح فاقدة لمعنى الفن الذّي هو أساس الرواية، فالواقع الروائي هو واقع فني بلا يمكن أن يوجد إلا في ذهن الروائي وإن كان مشابها للحدث الواقعي.

3- علاقة الشّخصية بالزمن:

يعد الزمن عنصرا مهما من عناصر النّص السردي لأنّه ارابط الحقيقي للأحداث ومحور البنية الروائية وجوهر تشكلها، وله دور أساسي في بناء الرواية ايضا، حيث شكل الزمن أحد الركائز الأساسية التّي ساهمت في بناء النّص فنيا وجماليا، فوجود الزمن ضروري في السرد أي لا وجود لسرد بدون زمن، كما أنّ الزمن الذّي يمنحه الراوي لشخصياته ينعكس على تصرفاته وافعاله، فنلاحظ أنّ هذا الزمن يخدم الوضعيات التّي تمر بها الشّخصية بداية الرواية إلى نهايتها. [1]

من خلال الأزمنة في الرواية نجد أن الروائي استعمل شخصيات لها علاقة بالزمن المذكور مثل: خوجة ناز حاجي، مصطفى مراد حضرت، كانت في زمن واحد هو زمن

[1] شرحبيل ابراهيم، دار المجلة العربيّة للنشر والترجمة، 1 مايو 2022م، شوال 1443ه.

الاحتلال الصيني الذّي حل على البلاد، مخلفا الوجع الجماعي للبلاد الغارقة في الحرب مع الصين.

ويعبر عنها الأمير التركستاني بقوله: أنا ملك حكيم شعب تركستان لديه شخصية دينية، تستخدم الدول التّي يقودها مبدأ الدين، عند وصول المستعمرين الشيوعيين الصينيين، أصبحت عائلة ثم أخذ من قبل الغزاة كما أراد القائد الصيني أن يتزوج الأميرة بالقوة، وكان الأمير السجين يعلم أنّ نهايته الموت ونحن ننطق الموت ببساطة، الأمير يقف على أعتاب الموت، أفضل من يزوج ابنته بالقائد الصيني. [1]

كما أن واقعة هيكل "ليالي تركستان" ارتبطت بحلول الاستقلال على ابلاد وهي إحدى الروايات الطبيب المصري والأديب الروائي المسرحي الشهير "نجيب الكيلاني"، اشتهر الكيلاني بإحساسه العميق والمليء بالجمال الفني الممتزج بالغموض في بعض الأحيان، فقد كانت لديه القدرة الإبداعية والفكرية والنقدية في الكتابة والتأليف في كثير من المجالات الأدبية المختلفة، كالنشر والشعر والروايات والقصص والمسرحيات، فقد كانت حياته مليئة بالنشاط في ميادين الفكر والأدب العربي.

4- علاقة الشّخصية بالمكان:

لقد لعب المكان دورا مهما في الرواية، حيث أنّ الشّخصية وحدها هي الكفيلة باستدعاء المكان أو خلقه، وهو الذّي يكشف لنا عن الحالة النفسية التّي يعيشها، كما أنّه يؤثر عليه سلبا أو إيجابا، وهو لا يكون في معزل عن بقية العناصر السردية وإنما دائما ما يكون في تفاعل معها بحيث أنّ أحدهما يكمل الآخر، العلاقة بين الذات والمكان إما تكون علاقة الانتماء أو علاقة تشعر فيها الذات بالنفور والرفض، وهنا علاقة الانتماء، تلك العلاقة التّي تشعر خلالها الذات بالانتماء.

تعددت الكتابات والبحوث التّي تناولت مفهوم المكان بالدراسة لما له من ارتباطات بحياة الإنسان منذ القدم، يمارس فيه نشاطه وأحواله، ليس موضعا مستقرا له، وإنما مكان ثقافي

[1] نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، ص20.

يحول معطيات الواقع المحسوس بتكيفها المادي لسد حاجاته اليومية، فالمكان يؤثر في الإنسان ويتأثر الإنسان به، وهذا ما ذهب إليه مهدي عبيدي عندما يقول: "المكان له بعده الفني وحدوده الهندسية المحددة بناء على الأشياء المتجانسة التّي تقوم ببسط علامات مألوفة، والمكان يؤثر في البشر بنفس القدر الذّي يؤثرون فيه

خاتمة

ونحن نقف عند نهاية البحث، يجدر بنا الاعتراف أنّ خاتمة هذا البحث هي نهاية، إنما تبقى أسئلة مفتوحة للبحث والتحري، وما وصلت إليه لم يكن إلا حلقة في سلسلة البحوث الأدبية التّي تهتم بدراسة الرواية الحديثة، تتمثل رواية "ليالي تركستان" للروائي نجيب الكيلاني عينة من هذا الحراك الأدبي الذّي حاولنا من خلاله الكشف عن آليات انشغال الدراما وذلك بالوقوف عند أهم العناصر المكونة له، التّي بينت طريقة بنائه في الحث في مكوناته: الشخصيات، المكان، الزمن، أما شخصيات في الرواية فقد تنوعت وذلك للتعدد والاختلاف مهما، فجاءت الشّخصيات وكذا الثانوية والهامشية مع طغيان الشّخصيات الرئيسية في الرواية.

- تنقلت الشّخصيات بين عدة فضاءات في الرواية في لإبراز وظيفة وعمل الشّخصية.
- ركز الكاتب على الشّخصية البطل "مصطفى مراد حضرت" والذّي يعتبر الشّخصية الرئيسية فيها.
- كان للشخصيات دور فعال في الرواية حيث ساهمت في تطوير العمل الدرامي.
- كما نجد توظيف المكان في الرواية، حيث تنقلت في الشّخصيات بين مختلف فضاءاته، من فضاء الجبل إلى فضاء المدينة، حيث كانت فيها علاقات مختلفة فيما بينها.
- تنوع الفضاءات في الرواية كان حسب الشّخصيات، فمنه من كان فضاء للعباد والطمأنينة، ومنه من كان فضاء لانعدام الحرية، وهذا ما أدى إلى تنوع الفضاءات في الرواية.
- يرجع بطء الزمن للحضور المكثف للمشاهد الحوارية، والتّي شغلت مساحات في الرواية، وكان طولها يولد ذلك التنوع من التعقيبات والوقفات الوصفية.

ولقد ارتسم الزمن في هذه الرواية بالسرعة والتّي تتمثل في تقنية الخلاصة والحذف.

قائمة

المصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1- نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013،

ثانيا: المراجع العربيّة:

2- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

3- أبو الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مادة (شخص)، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط2، 1979.

4- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط.

5- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر، الأردن، عمان، ط1، 2005.

6- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2015.

7- جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، مارس 1992.

8- جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الآداب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2000، العدد 13.

9- جميلة قيسمون، الشّخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جماعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد 6، 2006.

10- حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2005.

11- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

12- حسن بحراوي، بنية النّص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990

13- شرحبيل ابراهيم، دار المجلة العربيّة للنشر والترجمة، 1 مايو 2022م، شوال 1443ه

14- صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 1996.

15- عبد الحميد بوسماحة، مكونات البنية الفنية ج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، 2008، (د- ط).

16- عبد الرحيم الكردي، الراوي والنّص القصصي، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 1996.

17- عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي فزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط4، 2008.

18- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر ، (د - ط)، 1995.

19- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، العدد 240، 1998،

20- عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د - ط)، 1990.

21- فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2013.

22- محمود محمد الزيتي، سيكولوجية الشخصية بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1974.

23- مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، طلا، 2009.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....**أ-ب**

الفصل الأول

الشخصية في الرواية

1- مفهوم الشخصية 05

أ- الشخصيات في اللغة **05**

ب- الشخصيات في الاصطلاح..... **06**

2- أنواع الشخصيات الروائية 10

أ- الشخصية المسطحة **10**

ب- الشخصية المدورة **11**

3- طبيعة أسماء الشخصيات 13

4- تصنيف الشخصية الروائية.....14

5- طرق تقديم الشخصية الروائية 20

الفصل الثاني

الشخصيات في رواية ليالي تركستان

أولا- الأبعاد الموضوعية للشخصية في الرواية..... 24

1- البعد الجسمي **25**

2- البعد الاجتماعي **25**

3- البعد النفسي **25**

ثانيا- الشخصيات الرئيسة 26

ثالثا- الشّخصيات الثانوية 46

فهرس المحتويات:

رابعا- الشّخصيات الثانوية المساعدة 58

خامسا- الشخصيات النامية والكاملة وأبعادها..... 62

خاتمة..... 70

قائمة المصادر والمراجع..... 72

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة

ملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول هندسة الشخصيات وابعادها في رواية ليالي تركستان لنجيب الكيلاني والكشف عن أهم العناصر الفنية الأساسية المتفاعلة (الشخصيات-المكان-الزمان) المكونة للرواية وعلاقتهما بهندسة الشخصيات وكيف ساهمت هذه العناصر الفنية في تماسك العمل الروائي واثرائه من الناحية الفنية والموضوعاتية كونها هي الأساس للعمل الادبي.

الكلمات المفتاحية: الابعاد؛ الشخصيات؛ الزمان؛ المكان.

Abstract :

This study centers around the build of the characters and its dimensions in the « nights of tokestan » novel that has been authored by « Najib AL kaylani » , and to reveal the main artistic elements of the interactors (characters, time and location) that the novel is based on , and its relationship with the build of the characters.

And how these artistic elements contributed in the coherence of the novel and enriching it from the artistic and subjectivity side because they are essense of the literary work..

***Keywords**: Dimensions, characters, Time, Space*

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن عزي ايمان الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 201280209 والصادرة بتاريخ: 20/03/2017 **بدائرة** المسيلة
المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي**
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
هندسة التشويهات وأبعاد الرواية الليبية نموذجا

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2022/06/14

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): شلالي حدة ..... الصفة: **طالب**

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم 119950990145300 والصادرة بتاريخ: 2016/04/24

بدائرة : المسيلة بلدية المسيلة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، عنوانها:

حفر بنية الشخصيات وأبعادها لروايات لياني تركستان

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في : 2022/06/16

إمضاء المعني

ملاحظة: أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحته

الطالبة: بن عزي إيمان
تاريخ الميلاد: 1998/12/08 بالمسيلة

الطالبة: شلالي حدة
تاريخ الميلاد: 1995/11/27 بالمسيلة